

الفوائد النيرات والدلالات الواضحات على أهمية علم القراءات

تأليف: الدكتور إبراهيم بن محمد كشيدان



الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

إذن الطباعة:

المجلس الوطني للإعلام - الإمارات العربية المتحدة

الرقم الدولي: ISBN:

الناشر:

الإمارات العربية المتحدة / دبي

هاتف:

الفوائد النيرات والدلالات الواضحات، على أهمية علم القراءات

تأليف

الدكتور إبراهيم بن محمد كشيدان

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب:٧١ -٧٠].

أما بعد،

فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد، فهذا بحث مختصر في أهمية القراءات سميته بـــــ(الفوائد النيرات والدلالات الواضحات، على أهمية علم القراءات) سألني إياه بعض الطلاب المهتمين بالعلوم الشرعية، فأجبته لما طلب. والله أسأل أن ينفع به كل من قرأه واطلع عليه، وأن يكون خالصا لوجهه الكريم.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد ومطلبين وخاتمة، فالتمهيد في فضل القرآن ومعلميه والمطلب الأول في تعريف القرآن والقراءات وأقسامها وأركانها، والقارئ، والمقرئ، ومعنى الأحرف السبعة، والمطلب الثاني في أهمية القراءات وآداب القارئ والمقرئ، والخاتمة في التمسك بالقرآن وسنة ولد عدنان والعمل بهما.

كتبه: أبو إسماعيل إبراهيم بن محمد كشيدان

تمهيد في فضل القرآن وتدبره والعمل به وفضل أهله ومعلميه

أولا: فضل القرآن.

١. القرآن الكريم هو كتاب الله المبين، المنزل من حكيم حميد قال -تعالى-: (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) [سُورَةُ هود:١]. وقال تعالى: (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ). [سُورَةُ فُصِّلَتْ:٤١- ٤٢].

٢. كِتَابُ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ حَبْلُ اللَّهِ.[١] قال تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً). [سُورَةُ آل عمران:١٠٣]. وقال -صلى الله عليه وسلم-: «كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ، مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ»[٢].

١ ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٧/٧٢.

٢ أخرجه مسلم، كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَاب مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٢٤٠٨.

قال الشاطبي:

وَبَعْدُ فَحَبْلُ اللهِ فِينَا كِتَابُهُ * فَجَاهِدْ بِهِ حِبلَ الْعِدَا مُتَحَبِّلاَ

وَأَخْلِقْ بهِ إذْ لَيْسَ يَخْلُقُ جِدَّةً * جَدِيداً مُوَالِيهِ عَلَى الْجِدِّ مُقْبِلاَ[1]

٣. كتاب الله أحسن الحديث وخير الكلام وأصدقه. قال تعالى: (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا) [سُورَةُ النساء:٨٧]. وقال -سبحانه -: (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً) [سُورَةُ النساء:١٢٢]. وقال -سبحانه-: (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ). [سُورَةُ الزمر:٢٣]. وقال -صلى الله عليه وسلم-: «فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[2].

قال الشاطبي[3]:

وَخَيْرُ جَلِيسٍ لاَ يُمَلُّ حَدِيثُهُ * وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاً

وَحَيْثُ الْفَتى يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ * مِنَ الْقَبرِ يَلْقَاهُ سَناً مُتَهَلِّلاً

---

١ متن الشاطبية: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي (المتوفى: ٥٩٠هـ)، تحقيق: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط٤، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص١.

٢ أخرجه مسلم، كِتَاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٧٦٧.

٣ متن الشاطبية، ص٢.

هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِيلاً وَرَوْضَةً * وَمِنْ أَجْلِهِ فِي ذِرْوَةِ الْعِزِّ يجتُلَى

يُنَاشِدُه فِي إِرْضَائِهِ لِحَبِيبِهِ * وَأَجْدِرْ بِهِ سُؤْلاً إِلَيْهِ مُوَصَّلاَ

فَيَا أَيُّهَا الْقَارِى بِهِ مُتَمَسِّكاً * مُجِلاًّ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلا

هَنِيئاً مَرِيئاً وَالِدَاكَ عَلَيْهِما * مَلاَبِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالحُلا

٤. كتاب الله نور[1]، وشفاء، قال -تعالى-: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، [سُورَةُ المائدة:١٥-١٦].

وقال تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح...﴾. [سُورَةُ النور:٢٥].

وقال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾. [سُورَةُ يونس:٥٧].

قال ابن القيم -رحمه الله-: «فَالْقُرْآنُ هُوَ الشِّفَاءُ التَّامُّ مِنْ جَمِيعِ الْأَدْوَاءِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ، وَأَدْوَاءِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَا كُلُّ أَحَدٍ يُؤَهَّلُ وَلَا يُوَفَّقُ لِلِاسْتِشْفَاءِ بِهِ، وَإِذَا أَحْسَنَ الْعَلِيلُ التَّدَاوِيَ بِهِ، وَوَضَعَهُ عَلَى دَائِهِ بِصِدْقٍ وَإِيمَانٍ، وَقَبُولٍ تَامٍّ، وَاعْتِقَادٍ جَازِمٍ، وَاسْتِيفَاءِ شُرُوطِهِ، لَمْ

١ جامع البيان، ١٧٩/١٩.

يُقَاوِمْهُ الدَّاءُ أَبَدًا. وَكَيْفَ تُقَاوِمُ الْأَدْوَاءُ كَلَامَ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ الَّذِي لَوْ نَزَلَ عَلَى الْجِبَالِ لَصَدَّعَهَا، أَوْ عَلَى الْأَرْضِ لَقَطَّعَهَا، فَمَا مِنْ مَرَضٍ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ إِلَّا وَفِي الْقُرْآنِ سَبِيلُ الدِّلَالَةِ عَلَى دَوَائِهِ وَسَبَبِهِ، وَالْحِمْيَّةِ مِنْهُ لِمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ فَهْمًا فِي كِتَابِهِ».[1]

٥. كتاب الله فيه الهداية والنجاة والخير لمن اتبعه واستمسك به، فاستمسك به يا عبد الله. قال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا }[الإسراء: ٩].

وقال -تعالى-: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى﴾. [سُورَةُ طه:١٢٣].

وقال -تعالى-: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. [سُورَةُ آل عمران:١٠١].

وقال -تعالى-: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾. [سُورَةُ الزخرف:٤٣].

وعن أبي شريح الخزاعي -رضي الله عنه- قال: خرج علينا

---

١ زاد المعاد في هدي خير العباد لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ، ط٢٧، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م:٤/٣٢٣.

رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: «أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقلنا: نعم أو بلى قال: «فإن هذا القرآن سبب، طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم فتمسكوا فإنكم لن تضلوا و لن تهلكوا بعده أبدا»[1].

قَالَ قَتَادَة -رحمه الله- في قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتجِيبُوا لله وَالرَّسُول إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يحييكم وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلبه وَأَنه إليه تحشرون} [الأنفال:٢٤]: «هُوَ هَذَا الْقُرْآن فِيهِ الْحَيَاة والثقة والنجاة والعصمة فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة».[2]

وقال أيضاً -رحمه الله-: «لَمْ يُجَالِسْ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، قَضَى اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- الَّذِي قَضَى: {شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء: ٨٢]».[3]

تمسك بحبل الله واتبع الهدى
ولا تك بدعيا لعلك تفلح
ودن بكتاب الله والسنن التي
أتت عن رسول الله تنجو تربح

١ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان،فصل في إدمان تلاوة القرآن: ٣٥٢/٢،،٢٠١٣. دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، وصححه الألباني، ينظر صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي،:٤/١.

٢ الفوائد لابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م: ٨٨/١.

٣ أخلاق أهل القرآن:١٥٥/١.

وقل غير مخلوق كلام مليكنا

بذلك دان الأتقياء وأفصحوا[1]

٦. كتاب الله فيه الأحكام والشرائع، والأمثال والحكم، والمواعظ، وأحسن القصص، قَالَ -تعالى-: (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [سُورَةُ هود:١].

وقال -تعالى-: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ). [سُورَةُ يوسف:٣].

وقال تعالى-: (ياأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ). [سُورَةُ يونس:٥٧].

٧. كتاب الله تستمد منه سائر العلوم. قال تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}. [النحل: ٨٩]

قال ابن كثير -رحمه الله-: «قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: وَقَدْ بَيَّنَ لَنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ كُلَّ عِلْمٍ، وَكُلَّ شَيْءٍ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: كُلُّ حَلَالٍ وَحَرَامٍ. وَقَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَعَمُّ وَأَشْمَلُ؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ اشْتَمَلَ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ نَافِعٍ مِنْ خَبَرِ مَا سَبَقَ، وَعِلْمِ مَا سَيَأْتِي، وَحُكْمِ كُلِّ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَمَا النَّاسُ

١ حائية ابن أبي داود.

إِلَيْـهِ محتاجـون في أمـر دنياهـم ودينهـم، ومعاشـهم وَمَعَادِهِـمْ.

{وَهُدًى} أَيْ: لِلْقُلُوبِ، {وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}

وَقَـالَ الْأَوْزَاعِيُّ: {وَنزلْنَـا عَلَيْـكَ الْكِتَـابَ تِبْيَانًا لِـكُلِّ شَيْءٍ} أَيْ: بِالسُّـنَّةِ».[1]

وقـال العلامـة السـعدي -رحمـه الله-: (القـرآن العظيـم، والذكـر الحكيـم، فيـه الخير الكثـير، والعلـم الغزيـر، وهـو الـذي تسـتمد منـه سـائر العلـوم، وتسـتخرج منـه البركات، فـما مـن خـير إلا وقـد دعـا إليـه ورغـب فيـه، وذكـر الحكـم والمصالـح التـي تحـث عليـه، ومـا مـن شر إلا وقـد نهـى عنـه وحـذر منـه، وذكـر الأسـباب المنفـرة عـن فعلـه وعواقبهـا الوخيمـة، فَاتَّبِعُـوهُ فيـما يأمـر بـه وينهـى، وابنـوا أصـول دينكـم وفروعـه عليـه وَاتَّقُـوا الله تعـالى أن تخالفـوا لـه أمـرا لَعَلَّكُـمْ إن اتبعتمـوه تُرْحَمُـونَ، فأكـبر سـبب لنيـل رحمـة الله اتبـاع هـذا الكتـاب، علـما وعمـلا)[2].

---

١ تفسـير القـرآن العظيـم لأبي الفـداء إسـماعيل بـن عمـر بـن كثـير القـرشي الدمشـقي [٧٠٠-٧٧٤ هـ]، دار طيبـة للنـشر والتوزيـع ط ٢،١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، ٥٩٤/٤.

٢ تيسـير الكريـم الرحمـن في تفسـير كلام المنـان لعبـد الرحمـن بـن نـاصر بـن السـعدي، مؤسسـة الرسـالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م: ٢٨٠/١.

ثانياً: فضل تدبر القرآن والعمل به.

إن الله -عز وجل- ندب عباده على تدبر القرآن، وأمرهم بالعمل به قال سبحانه: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِّ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا}. [النساء: ٨٢].

وقال: {إِنَّا أنزلناه قُرْآنًا عَرَبيا لَعَلَّكُمْ تعقلون}. [يوسف:٣].

وقال: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}. [محمد: ٢٤].

وقال سبحانه: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}. [ص:٢٩].

وقراءة القرآن كما قرأه السلف يزيد المؤمنين إيمانا، قال سبحانه: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال: ٢].

وأخبر سبحانه أنه لو أنزل القرآن الكريم على جبل لرأيته خاشعا متصدعا فتأمل يا عبد الله! قال سبحانه: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِّ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الحشر: ٢١].

فاحرص يا عبد الله على تدبر القرآن، واخشع عند تلاوته وسماعه قال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ [الحديد:١٦]

قال الآجري -رحمه الله-: «ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَثَّ خَلْقَهُ عَلَى أَنْ يَتَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]

أَلَا تَرَوْنَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى مَوْلَاكُمُ الْكَرِيمِ كَيْفَ يَحُثُّ خَلْقَهُ عَلَى أَنْ يَتَدَبَّرُوا كَلَامَهُ، وَمَنْ تَدَبَّرَ كَلَامَهُ عَرَفَ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَرَفَ عَظِيمَ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَعَرَفَ عَظِيمَ تَفَضُّلِهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَعَرَفَ مَا عَلَيْهِ مِنْ فَرْضِ عِبَادَتِهِ فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ الْوَاجِبَ، فَحَذِرَ مِمَّا حَذَّرَهُ مَوْلَاهُ الْكَرِيمُ، وَرَغِبَ فِيمَا رَغَّبَهُ فِيهِ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ وَعِنْدَ اسْتِمَاعِهِ مِنْ غَيْرِهِ، كَانَ الْقُرْآنُ لَهُ شِفَاءً فَاسْتَغْنَى بِلَا مَالٍ، وَعَزَّ بِلَا عَشِيرَةٍ، وَأَنِسَ بِمَا يَسْتَوْحِشُ مِنْهُ غَيْرُهُ، وَكَانَ هَمُّهُ عِنْدَ التِّلَاوَةِ لِلسُّورَةِ إِذَا افْتَتَحَهَا مَتَى أَتَّعِظُ بِمَا أَتْلُو؟ وَلَمْ يَكُنْ مُرَادُهُ مَتَى أَخْتِمُ

السُّـورَةَ؟ وَإِنَّمَـا مُـرَادُهُ مَـتَى أَعْقِـلُ عَـنِ اللهِ الْخِطَـابَ؟».[١]

قـال عَبْـدُ اللهِ بْـنُ عُـرْوَةَ بْـنِ الزُّبَـيْرِ: قُلْـتُ لِجَـدَّتِي أَسْـمَاءَ: كَيْـفَ كَانَ أَصْحَـابُ رَسُـولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- إِذَا سَـمِعُوا الْقُـرْآنَ؟ قَالَـتْ: «تَدْمَـعُ أَعْيُنُهُـمْ وَتَقْشَـعِرُّ جُلُودُهُـمْ كَـمَا نَعَتَهُـمُ اللهُ» قَـالَ: قُلْـتُ: فَـإِنَّ نَاسًـا هَاهُنَـا إِذَا سَـمِعَ أَحَدُهُـمُ الْقُـرْآنَ خَـرَّ مَغْشِـيًّا عَلَيْـهِ، قَالَـتْ: «أَعُـوذُ بِـاللهِ مِـنَ الشَّـيْطَانِ الرَّجِيـمِ».[٢]

قـال عبـد الله بـن مسـعود -رضي الله عنـه-: «يَنْبَغِـي لِحَامِـلِ الْقُـرْآنِ أَنْ يُعْـرَفَ بِلَيْلِـهِ إِذَا النَّـاسُ نَائِمُـونَ، وَبِنَهَـارِهِ إِذَا النَّـاسُ مُفْطِـرُونَ، وَبِحُزْنِـهِ إِذَا النَّـاسُ يَفْرَحُـونَ، وَلِبُكَائِـهِ إِذَا النَّـاسُ يَضْحَكُـونَ، وَبِصَمْتِـهِ إِذَا النَّـاسُ يَخْلِطُـونَ، وَبِخُشُـوعِهِ إِذَا النَّـاسُ يَخْتَالُـونَ».[٣]

وقـال الْحَسَـنِ -رحمـه الله-: «إِنَّ هَـذَا الْقُـرْآنَ قَـدْ قَـرَأَهُ عَبِيـدٌ وَصِبْيَـانٌ لَا عِلْـمَ لَهُـمْ بِتَأْوِيلِـهِ، وَلَمْ يَتَأَوَّلُـوا الْأَمْـرَ مِـنْ أَوَّلِـهِ، قَـالَ اللهُ عَـزَّ وَجَـلَّ: {كِتَـابٌ أَنْزَلْنَـاهُ إِلَيْـكَ مُبَـارَكٌ لِيَدَّبَّـرُوا آيَاتِـهِ} [ص: ٢٩] وَمَـا تَدَبُّـرُ آيَاتِـهِ إِلَّا اتِّبَاعُـهُ، وَاللهُ يَعْلَـمُ، أَمَـا وَاللهِ مَـا هُـوَ بِحِفْـظِ حُرُوفِـهِ وَإِضَاعَـةِ حُـدُودِهِ حَـتَّى إِنَّ أَحَدَهُـمْ لَيَقُـولُ: قَـدْ قَـرَأْتُ الْقُـرْآنَ كُلَّـهُ فَـمَا أُسْـقِطُ مِنْـهُ

١ أخلاق أهل القرآن لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م: ٣٦/١.

٢ أخرجه البيهقي في الشعب ،فَصْلٌ فِي الْبُكَاءِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ٤١٦/٣ ،١٩٠٠ .

٣ أخرجه ابن أبي شيبة،كتاب الزهد، مَا قَالُوا فِي الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ: ٢٣١/٧.

حَرْفًا، وَقَدْ وَاللَّهِ أَسْقَطَهُ كُلَّهُ، مَا تَرَى الْقُرْآنَ لَهُ مِنْ خُلُقٍ وَلَا عَمِلٍ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: إِنِّي لَأَقْرَأُ السُّورَةَ فِي نَفَسٍ وَاحِدٍ، وَاللَّهِ مَا هَؤُلَاءِ بِالْقُرَّاءِ وَلَا الْحُكَمَاءِ وَلَا الْوَرَعَةِ، مَتَى كَانَتِ الْقُرَّاءُ تَقُولُ مِثْلَ هَذَا؟ لَا أَكْثَرَ اللَّهُ فِي النَّاسِ مِثْلَ هَؤُلَاءِ».[1]

قال القرطبي -رحمه الله-: «فَإِذَا اسْتَمَعَ الْعَبْدُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ عَلَى مَا يُحِبُّ اللَّهُ أَفْهَمَهُ كَمَا يُحِبُّ، وَجَعَلَ لَهُ فِي قلبه نورا».[2]

قال ابن تيمية -رحمه الله-: «وَالْمَطْلُوبُ مِنْ الْقُرْآنِ هُوَ فَهْمُ مَعَانِيهِ، وَالْعَمَلُ بِهِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ هِمَّةَ حَافِظِهِ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَالدِّينِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ».[3]

وقَالَ أيضاً -رحمه الله-: «فَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَتَدَبَّرَ مَا قَبْلَ الْآيَةِ وَمَا بَعْدَهَا وَعَرَفَ مَقْصُودَ الْقُرْآنِ: تَبَيَّنَ لَهُ الْمُرَادُ وَعَرَفَ الْهُدَى وَالرِّسَالَةَ وَعَرَفَ السَّدَادَ مِنْ الِانْحِرَافِ وَالِاعْوِجَاجِ».[4]

وقال أيضا: «وَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ

١ أخلاق أهل القرآن: ١/١٠٠.
٢ تفسير القرطبي، ١١/١٧٦.
٣ الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ٢/٢٣٥.
٤ مجموع الفتاوى : ١٥/٩٤.

لَـهُ طَرِيـقُ الْحَـقِّ».[1]

وقـال أيضـا : «قَـدْ فتـح اللَّهَ عَـلِي فِي هـذا الحصـن فِي هـذه المـرة مـن معـاني الْقُـرْآن، ومـن أصـول العلـم بأشـياء، كَانَ كثـير مـن الْعُـلَمَاء يتمنونهـا، وندمـت عَـلَى تضييـع أَكْـثَر أوقـاتي فِي غَـيْر معـاني الْقُـرْآن، ثُـمَّ إنـه منـع مـن الكتابـة، وَلَمْ يـترك عنـده دواة ولا قلـم ولا ورق، فأقبـل عَـلَى التـلاوة والتهجـد والمناجـاة والذكـر. فيـه مـن العلـم مـا لا يدركـه أكـثر النـاس».[2]

وقـال أيضـا: «فَيَنْبَغِـي تَدَبُّـرُ الْقُـرْآنِ وَمَعْرِفَـةُ وُجُوهِـهِ فَـإِنَّ أَكْـثَرَ مَـا يَتَوَهَّـمُ النَّـاسُ أَنَّـهُ قَـدْ خُولِـفَ ظَاهِـرُهُ وَلَيْـسَ كَذَلِـكَ وَإِنَّمَـا لَـهُ دَلَالَاتٌ يَعْرِفُهَـا مَـنْ أَعْطَـاهُ. اللَّهُ فَهْـمًا فِي كِتَابِـهِ وَيَسْـتَفِيدُ بِذَلِـكَ خَمْسَـةَ فَوَائِـدَ: أَحَدُهَـا: تَقْرِيـرُ الْأَحْـكَامِ بِدَلَائِـلَ الْقُـرْآنِ. وَالثَّـانِي: بَيَـانُ اتِّفَـاقِ الْكِتَـابِ وَالسُّـنَّةِ. وَالثَّالِـثُ: بَيَـانُ أَنَّ السُّـنَّةَ مُفَسِّرَةٌ لَـهُ لَا مُنَافِيَـةٌ لَـهُ. وَالرَّابِعُ: بَيَـانُ الْمَعَـانِي وَالْبَيَـانِ الَّتِي فِي الْقُـرْآنِ. وَالْخَامِـسُ: الْإِجْمَـاعُ مُوَافِـقٌ لِلْكِتَـابِ وَالسُّـنَّةِ. وَاللَّهُ أَعْلَـمُ».[3]

---

١ العقيـدة الواسـطية: اعتقـاد الفرقـة الناجيـة المنصـورة إلى قيـام السـاعة أهـل السـنة والجماعـة لتـقي الديـن أبـو العبـاس أحمـد بـن عبـد الحليـم بـن عبـد السـلام بـن عبـد الله بـن أبي القاسـم بـن محمـد ابـن تيميـة الحـراني الحنبـلي الدمشـقي (المتـوفى: ٧٢٨هـ)، أضـواء السـلف – الريـاض،ط٢ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م : ٧٤/١.

٢ ذيـل طبقـات الحنابلـة لزيـن الديـن عبـد الرحمـن بـن أحمـد بـن رجـب بـن الحسـن، السَـلامي، البغـدادي، ثـم الدمشـقي، الحنبـلي (المتـوفى: ٧٩٥هـ)، مكتبـة العبيـكان – الريـاض،ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م : ٥١٩/٤.

٣ مجموع الفتاوى: ٩٢/٢٢

قال ابن القيم -رحمه الله-: «وَأَمَّا التَّأَمُّلُ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ تَحْدِيقُ نَاظِرِ الْقَلْبِ إِلَى مَعَانِيهِ، وَجَمْعُ الْفِكْرِ عَلَى تَدَبُّرِهِ وَتَعَقُّلِهِ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِإِنْزَالِهِ، لَا مُجَرَّدُ تِلَاوَتِهِ بِلَا فَهْمٍ وَلَا تَدَبُّرٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: ٢٩] وَقَالَ تَعَالَى {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٤] وَقَالَ تَعَالَى {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ} [المؤمنون: ٦٨] وَقَالَ تَعَالَى {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الزخرف: ٣] وَقَالَ الْحَسَنُ: نَزَلَ الْقُرْآنُ لِيُتَدَبَّرَ وَيُعْمَلَ بِهِ. فَاتَّخِذُوا تِلَاوَتَهُ عَمَلًا.

فَلَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَأَقْرَبَ إِلَى نَجَاتِهِ مِنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ فِيهِ، وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ، فَإِنَّهَا تُطْلِعُ الْعَبْدَ عَلَى مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِحَذَافِيرِهِمَا، وَعَلَى طُرُقَاتِهِمَا وَأَسْبَابِهِمَا وَغَايَاتِهِمَا وَثَمَرَاتِهِمَا، وَمَآلِ أَهْلِهِمَا، وَتَتُلُّ فِي يَدِهِ مَفَاتِيحَ كُنُوزِ السَّعَادَةِ وَالْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَتُثَبِّتُ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، وَتُشَيِّدُ بُنْيَانَهُ وَتُوَطِّدُ أَرْكَانَهُ، وَتُرِيهِ صُورَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ فِي قَلْبِهِ، وَتُحْضِرُهُ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَتُرِيهِ أَيَّامَ اللَّهِ فِيهِمْ، وَتُبَصِّرُهُ مَوَاقِعَ الْعِبَرِ، وَتُشْهِدُهُ عَدْلَ اللَّهِ وَفَضْلَهُ، وَتُعَرِّفُهُ ذَاتَهُ، وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ، وَمَا يُحِبُّهُ وَمَا يُبْغِضُهُ، وَصِرَاطَهُ الْمُوصِلَ إِلَيْهِ، وَمَا لِسَالِكِيهِ بَعْدَ الْوُصُولِ وَالْقُدُومِ

عَلَيْـهِ، وَقَوَاطِـعَ الطَّرِيـقِ وَآفَاتِهَـا، وَتُعَرِّفُـهُ النَّفْـسَ وَصِفَاتِهَـا، وَمُفْسِـدَاتِ الْأَعْـمَالِ وَمُصَحِّحَاتِهَا وَتُعَرِّفُهُ طَرِيـقَ أَهْلِ الْجَنَّـةِ وَأَهْـلِ النَّـارِ وَأَعْمَالَهُـمْ، وَأَحْوَالَهُـمْ وَسِـيمَاهُمْ، وَمَرَاتِـبَ أَهْـلِ السَّـعَادَةِ وَأَهْـلِ الشَّـقَاوَةِ، وَأَقْسَـامَ الْخَلْـقِ وَاجْتِمَاعَهُـمْ فِيـمَا يَجْتَمِعُـونَ فِيـهِ، وَافْتِرَاقَهُـمْ فِيـمَا يَفْتَرِقُـونَ فِيـهِ.

وَبِالْجُمْلَـةِ تُعَرِّفُـهُ الرَّبَّ الْمَدْعُـوَّ إِلَيْـهِ، وَطَرِيـقَ الْوُصُـولِ إِلَيْـهِ، وَمَـا لَـهُ مِـنَ الْكَرَامَـةِ إِذَا قَـدِمَ عَلَيْـهِ.

وَتُعَرِّفُـهُ فِي مُقَابِـلِ ذَلِـكَ ثَلَاثَـةً أُخْـرَى: مَـا يَدْعُـو إِلَيْـهِ الشَّـيْطَانُ، وَالطَّرِيـقَ الْمُوصِلَـةَ إِلَيْـهِ، وَمَـا لِلْمُسْـتَجِيبِ لِدَعْوَتِـهِ مِـنَ الْإِهَانَـةِ وَالْعَـذَابِ بَعْـدَ الْوُصُـولِ إِلَيْـهِ.

فَهَـذِهِ سِـتَّةُ أُمُـورٍ ضَرُورِيٌّ لِلْعَبْـدِ مَعْرِفَتُهَـا، وَمُشَـاهَدَتُهَا وَمُطَالَعَتُهَـا، فَتُشْـهِدُهُ الْآخِـرَةَ حَـتَّى كَأَنَّـهُ فِيهَـا، وَتُغَيِّبُـهُ عَـنِ الدُّنْيَـا حَـتَّى كَأَنَّـهُ لَيْـسَ فِيهَـا، وَتُمَيِّزُ لَـهُ بَـيْنَ الْحَـقِّ وَالْبَاطِـلِ فِي كُلِّ مَا اخْتَلَـفَ فِيـهِ الْعَـالَمُ. فَتُرِيـهِ الْحَـقَّ حَقًّـا، وَالْبَاطِـلَ بَاطِـلًا، وَتُعْطِيـهِ فُرْقَانًـا وَنُـورًا يُفَـرِّقُ بِـهِ بَـيْنَ الْهُـدَى وَالضَّـلَالِ، وَالْغَـيِّ وَالرَّشَـادِ، وَتُعْطِيـهِ قُـوَّةً فِي قَلْبِـهِ، وَحَيَـاةً، وَسَـعَةً وَانْشِرَاحًـا وَبَهْجَـةً وَسُرُورًا، فَيَصِـيرُ فِي شَـأْنٍ وَالنَّـاسُ فِي شَـأْنٍ آخَـرَ.

فَـإِنَّ مَعَـانِيَ الْقُـرْآنِ دَائِـرَةٌ عَـلَى التَّوْحِيـدِ وَبَرَاهِينِـهِ، وَالْعِلْـمِ بِـاللَّهِ وَمَـا لَـهُ مِـنْ أَوْصَـافِ الْكَـمَالِ، وَمَـا يُـنَزَّهُ عَنْـهُ مِـنْ سِـمَاتِ

النَّقْصِ، وَعَلَى الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ، وَذِكْرِ بَرَاهِينِ صِدْقِهِمْ، وَأَدِلَّةِ صِحَّةِ نُبُوَّتِهِمْ، وَالتَّعْرِيفِ بِحُقُوقِهِمْ، وَحُقُوقِ مُرْسِلِهِمْ، وَعَلَى الْإِيمَانِ بِمَلَائِكَتِهِ، وَهُمْ رُسُلُهُ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ، وَتَدْبِيرِهِمُ الْأُمُورَ بِإِذْنِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَا جُعِلُوا عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ، وَمَا يَخْتَصُّ بِالنَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ مِنْهُمْ، مِنْ حِينِ يَسْتَقِرُّ فِي رَحِمِ أُمِّهِ إِلَى يَوْمِ يُوَافِي رَبَّهُ وَيَقْدَمُ عَلَيْهِ، وَعَلَى الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا أَعَدَّ اللهُ فِيهِ لِأَوْلِيَائِهِ مِنْ دَارِ النَّعِيمِ الْمُطْلَقِ الَّتِي لَا يَشْعُرُونَ فِيهَا بِأَلَمٍ وَلَا نَكَدٍ وَتَنْغِيصٍ، وَمَا أَعَدَّ لِأَعْدَائِهِ مِنْ دَارِ الْعِقَابِ الْوَبِيلِ الَّتِي لَا يُخَالِطُهَا سُرُورٌ وَلَا رَخَاءٌ وَلَا رَاحَةٌ وَلَا فَرَحٌ. وَتَفَاصِيلِ ذَلِكَ أَتَمَّ تَفْصِيلٍ وَأَبْيَنَهُ، وَعَلَى تَفَاصِيلِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالشَّرْعِ وَالْقَدَرِ، وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْمَوَاعِظِ وَالْعِبَرِ، وَالْقَصَصِ وَالْأَمْثَالِ، وَالْأَسْبَابِ وَالْحِكَمِ، وَالْمَبَادِئِ وَالْغَايَاتِ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ.

فَلَا تَزَالُ مَعَانِيهِ تُنْهِضُ الْعَبْدَ إِلَى رَبِّهِ بِالْوَعْدِ الْجَمِيلِ، وَتُحَذِّرُهُ وَتُخَوِّفُهُ بِوَعِيدِهِ مِنَ الْعَذَابِ الْوَبِيلِ، وَتَحُثُّهُ عَلَى التَّضَمُّرِ وَالتَّخَفُّفِ لِلِقَاءِ الْيَوْمِ الثَّقِيلِ، وَتَهْدِيهِ فِي ظُلَمِ الْآرَاءِ وَالْمَذَاهِبِ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَتَصُدُّهُ عَنِ اقْتِحَامِ طُرُقِ الْبِدَعِ وَالْأَضَالِيلِ وَتَبْعَثُهُ عَلَى الِازْدِيَادِ مِنَ النِّعَمِ بِشُكْرِ رَبِّهِ الْجَلِيلِ، وَتُبَصِّرُهُ بِحُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَتُوقِفُهُ عَلَيْهَا لِئَلَّا يَتَعَدَّاهَا فَيَقَعَ فِي الْعَنَاءِ الطَّوِيلِ، وَتُثَبِّتُ قَلْبَهُ

عَـنِ الزَّيْـغِ وَالْمَيْـلِ عَـنِ الْحَـقِّ وَالتَّحْوِيـلِ، وَتُسَـهِّلُ عَلَيْـهِ الْأُمُـورَ الصِّعَـابَ وَالْعَقَبَـاتِ الشَّـاقَّةَ غَايَـةَ التَّسْـهِيلِ، وَتُنَـادِيهِ كُلَّـمَا فَـتَرَتْ عَزَمَاتُـهُ وَوَنَى فِي سَـيْرِهِ تَقَـدَّمَ الرَّكْـبُ وَفَاتَـكَ الدَّلِيـلُ، فَاللِّحَـاقَ اللِّحَـاقَ، وَالرَّحِيـلَ الرَّحِيـلَ، وَتَحْـدُو بِـهِ وَتَسِـيرُ أَمَامَـهُ سَـيْرَ الدَّلِيـلِ، وَكُلَّـمَا خَـرَجَ عَلَيْـهِ كَمِـينٌ مِـنْ كَمَائِـنِ الْعَـدُوِّ، أَوْ قَاطِـعٌ مِـنْ قُطَّـاعِ الطَّرِيـقِ نَادَتْـهُ: الْحَـذَرَ الْحَـذَرَ! فَاعْتَصِـمْ بِاللَّهِ، وَاسْـتَعِنْ بِـهِ، وَقُـلْ: حَسْـبِيَ اللَّهُ وَنِعْـمَ الْوَكِيـلُ». [1]

وقـال أيضـاً -رحمـه الله-: «إذا أردْت الِانْتِفَـاع بِالْقُـرْآنِ فاجمـع قَلْبـك عِنْـد تِلَاوَتـه وسـماعه وأَلْـقِ سَـمعك واحـضر حُضُـور مـن يخاطبـه بِـهِ مـن تكلّـم بِـهِ سُـبْحَانَهُ مِنْـهُ إِلَيْـهِ فانـه خَاطـب مِنْـهُ لَـك عـلى لِسَـان رَسُـوله قَـالَ تعَـالَى {إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَذِكْـرَى لِمَـنْ كَانَ لَـهُ قَلْـبٌ أَوْ أَلْـقَى السَّـمْعَ وَهُـوَ شَـهِيد}». [2]

وقـال -رحمـه الله-: «فَتَبَـارَكَ الَّـذِي جعـل كَلَامه حَيَاة للقلوب وشـفاء لمـا فِي الصُّـدُور وَبِالْجُمْلَـةِ فَـلَا شَيْء أَنْفَـع للقلـب مـن قِـرَاءَة الْقُـرْآن بالتدبـر والتفكـر فَإِنَّـهُ جَامـع لجَمِيـع منَـازِل السـائرين وأحـوال العاملـين ومقامـات العارفـين، وَهُـوَ الَّـذِي يُـورث الْمحبَّـة والشـوق وَالْخَـوْف والرجـاء والإنابـة والتـوكل

1 ينظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية،دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م: ١/ ٤٤٩.
2 الفوائد: ١/ ٣.

وَالرِّضَا والتفويض وَالشُّكْر وَالصَّبْر وَسَائِر الأحوال الَّتِي بهَا حَيَاة الْقلب وكماله، وَكَذَلِكَ يزْجر عَن جَمِيع الصِّفَات والأفعال المذمومة وَالَّتِي بهَا فَسَاد الْقلب وهلاكه فَلَو علم النَّاس مَا فِي قِرَاءَة الْقُرْآن بالتدبر لاشتغلوا بهَا عَن كل مَا سواهَا، فَإِذا قَرَأَهُ بتفكر حَتَّى مر بِآيَة وَهُوَ مُحْتَاج إِلَيْهَا فِي شِفَاء قلبه كررها وَلَو مائَة مرّة وَلَو لَيْلَة فقراءة آيَة بتفكر وتفهم خير من قِرَاءَة ختمة بِغَيْر تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حُصُول الإيمان وذوق حلاوة الْقُرْآن، وَهَذِه كَانَت عَادَة السّلف يردد أحدهم الآية إلى الصَّباح وَقد ثَبت عَن النَّبِي أنه قَامَ بِآيَة يُرَدِّدهَا حَتَّى الصَّباح وَهِي قَوْله {إِن تُعَذبهُمْ فَإِنَّهُم عِبَادك وَإِن تغْفر لَهُم فَإنَّك أَنْت الْعَزِيز الْحَكِيم} فقراءة الْقُرْآن بالتفكر هِيَ أصل صَلَاح الْقلب، وَلِهَذَا قَالَ ابْن مَسْعُود لاتهذوا الْقُرْآن هَذَا الشّعْر وَلَا تنثروه نثر الدقل وقفُوا عِنْد عجائبه وحركوا بِهِ الْقُلُوب لَا يكن هم أحدكم آخر السُّورَة وروى أبو أيوب عَن أبي جَمْرَة قَالَ: قلت لِابْنِ عَبَّاس: إني سريع الْقِرَاءَة، إِنِّي أقرأ الْقُرْآن فِي ثَلَاث قَالَ لَأن أقْرَأ سُورَة من الْقُرْآن فِي لَيْلَة فأتدبرها وأرتلها أحب إلي من أن أقْرَأ الْقُرْآن كَمَا تقْرَأ.

والتفكر فِي الْقُرْآن نَوْعَانِ: تفكر فِيهِ ليَقَع على مُرَاد الرب تَعَالَى مِنْهُ وتفكر فِي مَعَاني مَا دَعَا عباده إلى التفكر فِيهِ

فالأول تفكر فِي الدَّلِيل القرآني وَالثَّانِي تفكر فِي الدَّلِيل العياني الأول تفكر فِي آيَاته المسموعة وَالثَّانِي تفكر فِي آيَاته المشهودة، وَلِهَذَا أنْزِل الله الْقُرْآن ليتدبر ويتفكر فِيهِ وَيعْمل بِهِ لَا لمُجَرّد تِلَاوَته مَعَ الإعراض عَنهُ، قَالَ الْحسن الْبَصْرِيّ: أنْزِل الْقُرْآن ليعْمَل بِهِ فاتخذوا تِلَاوَته عملا». [1]

وعلى العبد أن يجتنب مفسدات القلب الخمسة التي تحول بينه وبين التدبر، وبين كل خير، وهي: التَّعَلُّق بِغَيْرِ اللَّهِ، وكَثْرَة الْخُلْطَةِ، وكَثْرَةُ النَّوْمِ، وَأكل الحرام، والشِّبَع من الطعام، وَالتَّمَنِّي.

وَالتَّعَلُّق بِغَيْرِ اللَّهِ أَعْظَمُ مُفْسِدَاتِ القلب، فَأَعْظَمُ النَّاسِ خِذْلَانًا مَنْ تَعَلَّقَ بِغَيْرِ اللَّهِ، وَمَثَلُ الْمُتَعَلِّقِ بِغَيْرِ اللَّهِ كَمَثَلِ الْمُسْتَظِلِّ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ بِبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ، وَأَوْهَنِ الْبُيُوتِ وكَثْرَة الْخُلْطَةِ غير النافعة.

لقاء النَّاس ليسَ يُفيد شيئًا * سِوى الهذيان مِنْ قيلٍ وقال

وكَثْرَةُ النَّوْمِ، فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيُثَقِّلُ الْبَدَنَ، وَيُضِيعُ الْوَقْتَ، وَيُورِثُ كَثْرَةَ الْغَفْلَةِ وَالْكَسَلِ، وَالطعام المفسد للقلب نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا مَا يُفْسِدُهُ لِعَيْنِهِ وَذَاتِهِ كَالْمُحَرَّمَاتِ،

---

١ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت: ١٨٧/١.

وَهِيَ نَوْعَانِ: مُحَرَّمَاتٌ لِحَقِّ اللهِ، كَالْمَيْتَةِ وَالدَّمِ، وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ، وَذِي النَّابِ مِنَ السِّبَاعِ وَالْمِخْلَبِ مِنَ الطَّيْرِ، وَمُحَرَّمَاتٌ لِحَقِّ الْعِبَادِ، كَالْمَسْرُوقِ وَالْمَغْصُوبِ وَالْمَنْهُوبِ، وَمَا أُخِذَ بِغَيْرِ رِضَا صَاحِبِهِ، إِمَّا قَهْرًا وَإِمَّا حَيَاءً وَتَذَمُّمًا.

وَالثَّانِي: مَا يُفْسِدُهُ بِقَدْرِهِ وَتَعَدِّي حَدِّهِ، كَالْإِسْرَافِ فِي الْحَلَالِ وَالشِّبَعِ الْمُفْرِطِ، فَإِنَّهُ يُثْقِلُهُ عَنِ الطَّاعَاتِ، ومن ذلكم تدبر القرآن، وَالتَّمَنِّي، وقد قِيلَ: إِنَّ الْمُنَى رَأَسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ، فَهَذِهِ الْخَمْسَةُ مِنْ أَكْبَرِ مُفْسِدَاتِ الْقَلْبِ.[1]

واحرص يا عبد الله على العمل بهذا الكتاب العظيم، والعمل بالقرآن: تلاوته حق التلاوة، وتصديق أخباره، واتباع أحكامه كلها بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ابتغاء مرضاة الله، وطمعاً في ثوابه، وخوفاً من ناره وعقابه، وطمعاً في ثوابه.

وأمر الله النبي -صلى الله عليه وسلم- بتلاوة القرآن: { إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ}. [النمل:٩١].

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبس يوم القيامة تاجًا من نور ضوؤه

١ ينظر مدارج السالكين: ١/٤٥١.

مثل ضوء القمر، ويكسى والداه حلتان لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بما كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن»[1].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»[2].

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: (الم) حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».[3]

وقال أبو عبد الرحمن السُّلمي -رحمه الله-: «حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُمْ كَانُوا «يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَشْرَ آيَاتٍ»، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا

١ أخرجه الحاكم (٧٥٦/١، م: ٢٠٨٦) وقال: صحيح على شرط مسلم.وحسنه الألباني. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض،ط٥. ٨٠/٢.

٢ أخرجه مسلم،كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا،بَاب فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَسُورَةِ الْبَقَرَةِ، ٨٠٥.

٣ أخرجه الترمذي،أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَعْلِيمِ القُرْآنِ وقال: (حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ). ٢٩١٠.

مَا فِي هَـذِهِ مِـنَ الْعِلْـمِ وَالْعَمَـلِ، قَالُـوا: فَعَلِمْنَـا الْعِلْـمَ وَالْعَمَـلَ».[1] وفي رواية أخرى عنه كما قال الطبري -رحمه الله-: «حدثنا ابن حميد قال: حدثنا جَرير، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن، قال: حدثنا الذينأنه قال: «حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا: أنهم كانوا يستقرِئون من النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا إذا تعلَّموا عَشْر آيات لم يخلِّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلَّمنا القرآن والعمل جميعًا».[2]

وقال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: «مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَقْرَأِ الْقُرْآنَ فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ».[3]

ومن العمل به قراءته في الصلاة، وصلاة الليل، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ».[4]

وقال صلى الله عليه وسلم: «لاَ تَحَاسُدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ:

---

١ أخرجه أحمد في المسند: ٢٣٤٨٢ .

٢ جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر،مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م: ٨٠/١.

٣ أخرجه ابن أبي شيبة، كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، فِي التَّمَسُّكِ بِالْقُرْآنِ ٣٠٠١٨.

٤ أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، ٨٠٢.

رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ، فَيَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ».[1]

وإن عدم تدبر القرآن، وعدم العمل به من الهجر، وهجر القرآن خمسة أنواع: أَحدهَا هجر سَمَاعه وَالْإِيمَان بِهِ والإصغاء إِلَيْهِ. وَالثَّانِي: هجر الْعَمَل بِهِ وَالْوُقُوف عِنْد حَلَاله وَحَرَامه وَإِن قَرَأَهُ وآمن بِهِ.

وَالثَّالِث: هجر تحكيمه والتحاكم إِلَيْهِ فِي أُصُول الدّين وفروعه واعتقاد أَنه لَا يُفِيد الْيَقِين، وَأَن أدلته لفظية لَا تحصّل الْعلم.

وَالرَّابِع: هجر تدبّره وتفهّمه وَمَعْرِفَة مَا أَرَادَ الْمُتَكَلّم بِهِ مِنْهُ.

وَالْخَامِس: هجر الِاسْتِشْفَاء والتداوي بِهِ فِي جَمِيع أمراض الْقلب وأدوائها، فيطلب شِفَاء دائه من غَيره، ويهجر التَّدَاوِي بِهِ، وكل هَذَا دَاخل فِي قَوْله: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً}.[2]

---

١ أخرجه البخاري، كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، ٧٥٢٨

٢ الفوائد لابن القيم: ٨٢/١.

ثالثا: فضل أهل القرآن ومعلميه.

قال ابن القيم -رحمه الله -: (أهل القرآن هم العالمون به العاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه، ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله، وإن أقام حروفه إقامة السهم).[1]

١. أهل القرآن تتنزل عليهم السكينة، وتغشاهم الرحمة، وتحفهم الملائكة عند تلاوة كتاب الله -تعالى- ومدارسته. فعن أبِي هريرة -رضِى الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «... وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ...».[2].

٢. أهل القرآن هم أهل الله وخاصته فعن أنس -رضي الله عنه- قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِن النَّاسِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»[3].

---

١ زاد المعاد:١/٣٢٧.

٢ أخرجه مسلم،كِتَاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَاب فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، ٢٦٩٩.

٣ أخرجه ابن ماجه. كتاب اتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَاب فَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، ٢١٥. وصححه الألباني.

قال الشاطبي:

فَما ظَنُّكُمْ بالنَّجْلِ عِنْدَ جَزَائِهِ * أُولئِكَ أَهْلُ اللهِ والصَّفَوَةُ المَلاَ[1]

٣. أهل القرآن وحفاظه أثنى الله تعالى عليهم قال -تعالى-: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾. [سُورَةُ العنكبوت:٤٩]. أي: يحفظونه حفظًا، فلا شك أن الذي يحفظ القرآن ويعمل به أعلى ممن لم يحفظه. قال الحسن: يعني القرآن آيات بينات، {فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن[2]. وقال ابن كثير: (القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق، أمرًا ونهيًا وخبرًا، يحفظه العلماء، يَسَّره الله عليهم حفظًا وتلاوةً وتفسيرًا، كما قال تعالى: { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ }. [القمر: ١٧][3].

٤. أهل القرآن أحق الناس بالإجلال والإكرام، فعَنْ أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِىِّ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِى الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِى فِيهِ وَالْجَافِى عَنْهُ وَإِكْرَامَ ذِى السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ»[4].

١ الشاطبية، ص٢.
٢ معالم التنزيل لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ]، تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش،دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م::٢٥٠/٦.
٣ تفسير القرآن العظيم، ٢٨٦/٦.
٤ أخرجه أبو داود، كتاب الأدب،باب فِى تَنْزِيلِ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ.٤٨٤٥. وصححه الألباني.

٥. الحفّاظ هم أولى الناس بالإمامة فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ...»[1].

٦. أهل القرآن هم خير الناس فعن عُثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[2].

٧. أهل القرآن منزلتهم رفيعة، وهم أعلى الناس منزلة عند الله في الجنة، وأرفعهم مكانة؛ بحفظهم لكتاب الله والعمل به، وكان عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– يقرب القراء من مجلسه، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا...»[3].

وعن عامر بن واثلة، أن نافع بن عبد الحارث، لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي، فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت

١ أخرجه مسلم،كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ بَاب مَنْ أَحَقُّ بِالْإِمَامَةِ، ٦٧٣.
٢ أخرجه البخاري،كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ٥٠٢٧.
٣ أخرجه البخاري، كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَاب {خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ} الْعُرْفُ الْمَعْرُوفُ، ٤٦٤٢.

عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: «إِنَّ اللَّهَ يرفَعُ بِهذَا الكتاب أَقواماً ويضَعُ بِهِ آخَرين»[1].

وعن عبد اللهِ بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»[2].

وليحذر القارئ بدعة المقامات عند أدائه القرآن الكريم، قَالَ ابن القاسم تلميذ مالك: وَسُئِلَ مَالِكٌ عَنِ الْأَلْحَانِ فِي الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: لَا يُعْجِبُنِي وَأَعْظَمَ الْقَوْلَ فِيهِ، وَقَالَ: إِنَّمَا هَذَا غِنَاءٌ يَتَغَنَّوْنَ بِهِ لِيَأْخُذُوا عَلَيْهِ الدَّرَاهِمَ.[3]

وقال القرطبي -رحمه الله-: «ومن حرمته ألا يقعر في قراءته كفعل هؤلاء الهمزيين المبتدعين والمتنطعين في إبراز الكلام من تلك الأفواه المنتنة تكلفا، فإن ذلك محدث، ألقاه إليهم الشيطان فقبلوه عنه ومن حرمته ألا يقرأه بألحان الغناء كلحون أهل الفسق».[4]

---

١ أخرجه مسلم،كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا،بَاب فَضْلِ مَنْ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ وَيُعَلِّمُهُ وَفَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ حِكْمَةً مِنْ فِقْهٍ أَوْ غَيْرِهِ فَعَمِلَ بِهَا وَعَلَّمَهَا، ٨١٧.

٢ أخرجه أبُو داود،باب استحباب الترتيل في القراءة. ١٤٦٤. وصححه الألباني.

٣ المدونة، ٢٨٨/١.

٤ تفسير القرطبي، ٢٩/١.

وقال ابن خاقان رحمه الله:

أَيَا قَــارِئَ القُرْآنِ أَحْسِــنْ أَدَاءَهُ
يُضَاعِفْ لَكَ اللهُ الجَزِيلَ مِنَ الأَجْرِ
فَمَا كُلُّ مَنْ يَتْلُو الكِتَابَ يُقِيمُهُ
وَلا كُلُّ مَنْ فِي النَّاسِ يُقْرِئُهُمْ مُقْرِي
وإِنَّ لَنَا أَخْذ القِرَاءَةِ سُنَّة
عَن الأَوَّلِينَ المُقْرِئِينَ ذَوِى السِّتْرْ

٨ أهل القرآن، من أعظم الخلق أجراً، ومن أكثرهم ثواباً، ومع السفرة الكرام البررة فعن عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»[1].

٩. أهل القرآن يُلْبَسُون تَاجَ الْكَرَامَةِ وتاج الوقار، وتاج النور، وحُلَّةَ الْكَرَامَةِ يوم القيامة، ويرضى الله عنهم ويكسى ءاباؤهم حلتان لا تقوم لهما الدنيا فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَن النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ حَلِّهِ فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ زِدْهُ فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ فَيَرْضَى عَنْهُ فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ

١ أخرجه مسلم، كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا،باب فَضْلِ الْمَاهِرِ بِالْقُرْآنِ وَالَّذِى يَتَتَعْتَعُ فِيهِ١٨٩٨.

وَارْقَ وَتُـزَادُ بِكُلِّ آيَـةٍ حَسَـنَةً»[1]. وقـال رسـول الله -صـلى الله عليـه وسـلم-: «يجـيء القـرآن يـوم القيامـة كالرجل الشـاحب يقـول لصاحبـه: هـل تعرفـني؟ أنـا الـذي كنـت أسـهر ليلـك وأظمـئ هواجـرك، وإن كل تاجـر مـن وراء تجارتـه، وأنـا لـك اليـوم مـن وراء كل تاجـر، فيعطـى الملـك بيمينـه، والخلـد بشـماله، ويوضـع عـلى رأسـه تـاج الوقـار، ويكـسى والـداه حلتـان لا يقـوم لهـما الدنيـا ومـا فيهـا فيقـولان: يـا رب أنى لنـا هـذا؟ فيقـال لهـما: بتعليـم ولدكـما القـرآن، وإن صاحـب القـرآن يقـال لـه يـوم القيامـة: قـرأ وأرق في الدرجـات ورتـل كـما كنـت ترتـل في الدنيـا فـإن منزلـك عنـد آخـر آيـة معـك»[2].

وقـال رسـول الله -صـلى الله عليـه وسـلم-: «مـن قـرأ القـرآن وتعلمـه وعمـل بـه ألبـس يـوم القيامـة تاجًـا مـن نـور ضـوؤه مثـل ضـوء القمـر، ويكـسى والـداه حلتـان لا تقـوم لهـما الدنيـا، فيقـولان: بـما كسـينا هـذا؟ فيقـال: بأخـذ ولدكـما القـرآن»[3].

١٠. أهـل القـرآن كالأترجـة: فعَـنْ أَبِي مُـوسَى الْأَشْـعَرِيِّ-

---

١ أخرجه الترمذي، وقال هَـذَا حَدِيـثٌ حَسَـنٌ صَحِيحٌ.أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، باب مَا جَاءَ فِيمَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ الْقُرْآنِ مَالَـهُ مِنْ الْأَجْرِ٢٩١٥.

٢ أخرجه الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المعجم الأوسط،دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ. ٥٧٦٤. وصححه الألباني: السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض. ٣٠/٧.

٣ تقدم تخريجه.

رضي الله عنه- عَن النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ...»[1].

قال الشاطبي:

وَقَارِئُهُ الْمَرْضِيُّ قَرَّ مِثَالُهُ * كَالاتْرُجّ حَالَيْهِ مُرِيحًا وَمُوكَلاَ

هُوَ الْمُرْتَضَى أَمًّا إِذَا كَانَ أُمَّةً* وَيَمَّمَهُ ظِلُّ الرَّزَانَةِ قَنْقَلاَ

هُوَ الْحُرُّ إِنْ كانَ الْحَرِيّ حَوَارِياً * لَهُ بِتَحَرّيهِ إِلَى أَنْ تَنَبَّلاَ[2]

١١. أهل القرآن يحاجّ عنهم القرآن. فعَن النَّوَّاسِ بنِ سَمعانَ رضيَ اللهَّ عنهُ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»[3].

١٢. الحفاظ المخلصون المتبعون العاملون لا تحرقهم النار، قال -صلى الله عليه وسلم-: «لَوْ كَانَ الْقرآنُ فِي إِهَابٍ مَا

١ أخرجه البخاري،كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب فَضْلِ الْقُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ، ٥٠٢٠.
٢ الشاطبية، ص١.
٣ تقدم تخريجه.

أكَلتْهُ النّارُ»[1]. قال أبو عبيد: (أراد بالإهاب قلب المؤمن وجوفه الذي قد وعى القرآن)[2]. (أي: لو قد أن القرآن جعل في إهاب وألقي في النار ما مسته ولا أحرقته ببركته، فكيف بالمؤمن المواظب لقراءته ولتلاوته)[3].

١٣. أهل القرآن العاملون به يضاعف لهم الثواب بتلاوته، ويُوفَّى لهم أجروهم ويزيدهم الله من فضله؛ قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُور لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُور}. فاطر: ٢٩-٣٠.

وعن ابن مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: قَالَ رسولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لا أقول: ألم حَرفٌ، وَلكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»[4].

١٤. أهل القرآن يشقع لهم القرآن. فعن أَبِي أُمامَةَ رضِي اللَّهَ عنهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني،رقم: ٨٥٠، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٣، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي٢٠ وحسنه الألباني.

٢ الإتقان في علوم القرآن،عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م: ١٢١/٤.

٣ ينظر فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥ ه - ١٩٩٤ م: ٤١٢/٥.

٤ تقدم تخريجه.

يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»[1].

قال الشاطبي:

وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ * وَأَغْنى غَنَاءً وَاهِباً مُتَفَضِّلاَ[2]

قال الداني:

قد جاء مرويا عن الأكابر * فى حامل القرءان شيء ظاهر

خرجه الأشياخ فى الصحيح * عن الرسول الصادق النصيح

أفضلكم معلم القرءان * و ماهر بجملة الفرقان

ومثل ذاك صحة وصدقا * بأنهم أهل الإله حقا

وقال أيضا فيهم مقاله * شافية والصدق ما قد قاله

يقال يوم البعث للقراء * بعد الورود احظوا بالارتقاء

فى الدرجات واقرءوا القرءانا * ورتلوه واسكنوا الجنانا

مُدَّ لكل قاريء حيث انتهى * من أجل ذا رتله أهل النهى

١ أخرجه مسلم كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا،بَاب فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَسُورَةِ الْبَقَرَةِ، ٨٠٤.

٢ الشاطبية، ص٢.

هـذا الـذي صـح عـن النـبي * يـزري بقـول القـادح الغـبي
كالجاحـظ الخسـيس والنظـام * وشـبه هذيـن مـن الطغـام
وغيرهم من الأراذل السفل * لسخفهم بقولهم لا يشتغل[1]

***

لِـذَاكَ كَانَ حَامِلُـو الْقُـرآنِ ... أَشْرَافَ الأُمَّـةِ أُولِي الإِحْسَـانِ
وَإِنَّهُـمْ فِي النَّـاسِ أَهْـلُ اللهِ ... وَإِنَّ رَبَّنـا بِهِـمْ يُبَـاهِي
وقَـالَ فِي الْقُـرآنِ عَنْهُـمْ وَكَـفَى ... بِأَنَّـهُ أَوْرَثَـهُ مَـنِ اصْطَـفَى
وَهْـوَ فِي الأُخْـرَى شَـافِعٌ مُشَـفَّعُ ... فِيْـهِ وَقَوْلُـهُ عَليْـهِ يُسْـمَعُ
يُعْطَـى بِـهِ الْمُلْـكَ مَـعَ الْخُلْـدِ إِذَا ... تَوَّجَـهُ تَـاجَ الْكَرامَـةِ كَـذَا
يَقْـرَا وَيَـرقَى دَرَجَ الجِنَـانِ ... وَأَبَـوَاهُ مِنْـهُ يُكْسَـيَانِ
فَلْيَحِـرصِ السَّـعِيدُ فِي تَحْصِيلِـهِ ... وَلا يَمَـلَّ قَـطُّ مِـنْ تَرْتِيْلِـهِ
وليَجْتَهِدْ فَيهِ وَفِي تَصحِيحِهِ ... عَلى الَّذِي نُقِلَ مِنْ صَحِيحِهِ

***

فكُنْ عَلى نَهْجِ سَبِيلِ السَّـلفِ ... فى مُجْمَعٍ عَلَيْهِ أوْ مُخْتَلَفِ[2]

---

١ الأرجـوزة المنبهـة عـلى أسـماء القـراء والـرواة وأصـول القـراءات وعقـد الديانـات بالتجويـد والـدلالات، أبـو عمـرو عثـمان بـن سـعيد الـداني، دار المغـني، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص١٦٤.
٢ طيبة النشر.

المطلب الأول: تعريف القرآن والقراءات وأقسامها وأركانها، والقارئ، والمقرئ، والقراءة، والرواية والطريق والوجه، ومعنى الأحرف السبعة.

أولا: تعريف القرآن الكريم:

القرآن في اللغة: مَصْدَرُ قرأَ بمعنى تَلا، أو بمعنى جَمَع، تقول: قَرَأَ قَرْءاً وقُرْآناً، كما تقول: غفر غَفْراً وغُفْراناً فعلى المعنى الأول (تلا) يكون مصدراً بمعنى اسم المفعول؛ أي: بمعنى متلوّ وعلى المعنى الثاني (جَمَعَ) يكون مصدراً بمعنى اسم الفاعل؛ أي: بمعنى جامع؛ لجمعه الأخبار والأحكام[1].

والذي يترجح المعنى الأول، وهو معنى التلاوة[2].

والقرآن شرعا: هو كلامُ الله -تعالى- حقيقة: حروفه ومعانيه، غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، المنزل على رسوله وخاتم أنبيائه محمد -صلى الله عليه وسلم-، بواسطة جبريل -عليه الصلاة والسلام-، المنقول ل إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة منه، المجموع بين دفتي المصحف، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس[3].

---

١ تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م،ط٣:١/٢٦٣.

٢ ينظر جامع البيان للطبري: ٢٣/٥٠٣.

٣ ينظر أصول التفسير لابن عثيمين: ص٣. والقراءات وأثرها في التفسير والأحكام ص١٢.

قال القحطاني:

وكتبت في اللوح الحفيظ حروفه * من قبل خلق الخلق في أزمان

فالله ربي لم يزل متكلما * حقا إذا ما شاء ذو إحسان

نادى بصوت حين كلم عبده* موسى فأسمعه بلا كتمان

وكذا ينادي في القيامة ربنا * جهرا فيسمع صوته الثقلان

أن يا عبادي أنصتوا لي واسمعوا * قول الإله المالك الديان

هذا حديث نبينا عن ربه* صدقا بلا كذب ولا بهتان

لسنا نشبه صوته بكلامنا *إذ ليس يدرك وصفه بعيان

لا تحصر الأوهام مبلغ ذاته * أبدا ولا يحويه قطر مكان

وهو المحيط بكل شيء علمه * من غير إغفال ولا نسيان

من ذا يكيف ذاته وصفاته * وهو القديم مكون الأكوان

سبحانه ملكا على العرش استوى * وحوى جميع الملك والسلطان

وكلامه القرآن أنزل آيه * وحيا على المبعوث من عدنان

صلى عليه الله خير صلاته * ما لاح في فلكيهما القمران

هو جاء بالقرآن من عند الذي * لا تعتريه نوائب الحدثان

تنزيل رب العالمين ووحيه * بشهادة الأحبار والرهبان

وكلام ربي لا يجيء بمثله * أحد ولو جمعت له الثقلان

وهو المصون من الأباطل كلها *ومن الزيادة فيه والنقصان

من كان يزعم أن يباري نظمه * ويراه مثل الشعر والهذيان

فليأت منه بسورة أو آية * فإذا رأى النظمين يشتبهان

فلينفرد باسم الألوهية وليكن * رب البرية وليقل سبحاني

فإذا تناقض نظمه فليلبسن *ثوب النقيصة صاغرا بهوان

أو فليقر بأنه تنزيل من *سماه في نص الكتاب مثاني

لا ريب فيه بأنه تنزيله * وبداية التنزيل في رمضان

الله فصله وأحكم آيه * وتلاه تنزيلا بلا ألحان

هو قوله وكلامه وخطابه * بفصاحة وبلاغة وبيان

هو حكمه هو علمه هو نوره * وصراطه الهادي إلى الرضوان

جمع العلوم دقيقها وجليلها * فيه يصول العالم الرباني

قصص على خير البرية قصة * ربي فأحسن أيما إحسان

وأبان فيه حلاله وحرامه * ونهى عن الآثام والعصيان

من قال إن الله خالق قوله * فقد استحل عبادة الأوثان

من قال فيه عبارة وحكاية * فغدا يجرع من حميم آن

من قال إن حروفه مخلوقة*فالعنه ثم اهجره كل أوان

لا تلق مبتدعا ولا متزندقا * إلا بعبسة مالك الغضبان

والوقف في القرآن خبث باطل * وخداع كل مذبذب حيران

قل غير مخلوق كلام إلهنا * واعجل ولا تك في الإجابة واني

أهل الشريعة أيقنوا بنزوله * والقائلون بخلقه شكلان

وتجنب اللفظين إن كليهما * ومقال جهم عندنا سيان

يأيها السني خذ بوصيتي *واخصص بذلك جملة الإخوان

واقبل وصية مشفق متودد * واسمع بفهم حاضر يقظان

كن في أمورك كلها متوسطا * عدلا بلا نقص ولا رجحان[1]

قال ابن أبي داود -رحمه الله-:

وقل غيرُ مخلوقٍ كلام مليكنا * بذلك دان الأتقياء وأفصحوا[2]

١ القصيدة النونية للقحطاني، لعله: أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني، المعافري الأندلسي المالكي، دار الذكرى، ط١، ص١٩-٢٢.
٢ التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية، تحقيق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، مطابع أضواء المنتدى، ص٩.

وقال الإمام مالك - رحمه الله تعالى -: «القرآن كلام الله، وكلام الله من الله، وليس من الله شيء مخلوق، ومن قال: القرآن مخلوق، فهو كافر، والذي يقف، أشد منه، يُسْتَتاب وإلا ضُربت عنقه»[1].

وقال ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «مذهب سلف الأمة وأهل السنة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، هكذا قال غير واحد من السلف، روي عن سفيان عن عمرو بن دينار[2] «وكان من التابعين الأعيان» قال: ما زلت أسمع الناس يقولون ذلك[3]».

فالقرآن كلام الله حقيقة حروفه ومعانيه، وهو بحرف وصوت، لا يشبه أصوات المخلوقين.

فالصوت والألحان صوت القارئ * لكنما المتلو قول الباري[4]

ثانياً: تعريف القراءات:

القراءات لغة: جمع قراءة، والقراءة بمعنى الجمع والضم يقال: قرأت الشيء أي: جمعته، وضممت بعضه إلى بعض،

١ ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، ط١، ١٧٤/١.

٢ خلق أفعال العبادلمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار المعارف السعودية - الرياض، ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨م: ٢٩/١.

٣ مجموع الفتاوى لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: دار الوفاء: ٤١٠/٣.

٤ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي. تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم - الدمام، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ص٣٠.

ويقال: قرأت الماء في الحوض، أي: جمعته فيه[1].

ويقال: ما قرأت الناقة سناً قط، أي: ما جمعت في بطنها جنيناً، وتكون أيضاً بمعنى التلاوة. وكل شيء جمعته فقد قرأته، وسمي القرآن قرآنا؛ لأنه جمع القصص، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض[2].

واصطلاحا: عرفت بتعاريف عدة، فعرفها الزركشي بأنها (اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف، أو كيفياتها من تخفيف وتثقيل وغيرها)[3].

وعرفها أبو حيان بأنها (علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن)[4].

وعرفها ابن الجزري بأنها (علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة)[5].

---

١ ينظر تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م،ط١:٣/٢٦٣.

٢ ينظر تهذيب الأسماء واللغات:١/٢٦٣.ولسان العرب لابن منظور: مادة قرأ.

٣ البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار أحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه: ٣١٨/١.

٤ البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠ هـ، ١٤/١.

٥ منجد المقرئين ومرشد الطالبين لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م: ص٩.

ثالثاً: أقسام القراءات:

تنقسم القراءات من حيث القبول والرد إلى قسمين:

١. القراءات المقبولة وهي نوعان:

أ- المتواترة: قال ابن الجزري: (كل قراءة وافقت العربية مطلقاً ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً وتواتر نقلها، هذه القراءة المتواترة المقطوع بها) اهـ.[١]

ب- الصحيحة المشهورة وهي التي توفرت فيها شروط القراءة من حيث موافقة الرسم والعربية، وصح سندها، لكنها لم تبلغ حد التواتر، وإن كانت مشهورة مستفيضة.[٢].

والقراءات المقبولة هي التي تجوز بها القراءة والصلاة عند أكثر أهل العلم وهي قراءات الأئمة العشرة.

٢. القراءات المردودة: وهي التي فقدت أحد شروط القبول، بأن لم يصح سندها أو خالفت الرسم أو العربية.[٣]

رابعاً: أركان القراءة المقبولة:

١. صحة السند.

---

١ المنجد ص١٦.
٢ المنجد ص١٦.
٣ النشر للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، المتوفي سنة ٨٣٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤/١.

٢. موافقة اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه.

٣. موافقة الرسم العثماني ولو احتمالا.

وهذا مذهب ابن مجاهد ت ٣٢٤، وابن خالويه ت ٣٧٠. وأحمد بن عمار المهدوي ت ٤٣٠، ومكي بن أبي طالب ت ٤٣٧. وأبي عمرو الداني ت ٤٤٤. وابن الجزري ت ٨٣٣هـ، ومن وافقهم من العلماء.

قال ابن الجزري (والحد الجامع لما يقرأ به من الروايات كل ما وافق أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرا ووافق العربية ولو بوجه وصح إسنادا، سواء كان عن هؤلاء السبعة أم العشرة أم غيرهم. متى اختل ركن من هذه الثلاثة في حرف حكم عليه بالشذوذ، وكلام الناس في حكم الشاذ معلوم، قد أشرنا إلى ذلك في أول كتابنا نشر القراءات العشر).[١]

قال ابن الجزري في (طيبة النشر في القراءات العشر):[٢]

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ * وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالًا يَحْوِي

١ تحبير التيسير في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان - الأردن / عمان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ص٩٢.

٢ مَتْنُ «طَيِّبَةِ النَّشْرِ» فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف. تحقيق: محمد تميم الزغبي، دار الهدى، جدة، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، ص١.

وَصَـحَّ إسْنَـادًا هُـوَ الْقُـرْآنُ * فَهَـذِهِ الثَّلاثَـةُ الأَرْكَـانُ

وَحَيثُمَـا يَخْتَلُّ رُكْـنٌ أَثْبِـتِ * شُذُوذَهُ لَـوْ أَنَّـهُ فِـي السَّبْعَةِ

فَكُـنْ عَلَى نَهْجِ سَبِيلِ السَّلَفِ * فِـي مُجْمَعٍ عَليْـهِ أوْ مُخْتَلَفِ

وَأَصْـلُ الاخْـتِلافِ أنَّ رَبَّنَـا * أنْـزَلَـهُ بِسَـبْعَـةٍ مُهَـوِّنَـا

وَقِيـلَ فِي الـمُـرَادِ مِنْهَا أَوجُـهُ * وكَونُهُ اخْـتِلاَفَ لَفْظٍ أوْجَـهُ

قَـامَ بِهَـا أَئِمَّـةُ الْقُـرَآنِ * وَمُحْرِزُو التَّحْقِيقِ وَالإتْقَانِ

قال ابن الجزري: («وقولنا» وصح سندها فإنا نعني به أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله كذا حتى تنتهي وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ بها بعضهم.

(وقولنا في الضابط ولو في بوجه نريد به وجها من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحاً مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله إذا كانت القراءة مما شاع وذاع

وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح، إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم، وهذا هو المختار عند المحققين في ركن موافقة العربية، فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر إنكارهم بل أجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبولها كإسكان (بارئكم ويأمركم) ونحوه (وسبأ، ويا بني، ومكر السيء، وننجي المؤمنين في الأنبياء) والجمع بين الساكنين في تاآت البزي وإدغام أبي عمرو (واسطاعوا) لحمزة وإسكان (نعما ويهدي) وإشباع الياء في (نرتعي، ويتقي، ويصبر، وأفئيدة من الناس) وضم (الملائكة اسجدوا) ونصب (كن فيكون) وخفض (والأرحام) ونصب (وليجزي قوماً) والفصل ين المضافين في الأنعام وهمز (سأقيها) ووصل (وإن الياس) وألف (إنّ هذان) وتخفيف (ولا تتبعان) وقراءة (ليكة) في الشعراء و صوغير ذلك...

ونعني بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتاً في بعضها دون بعض كقراءة ابن عامر (قالوا اتخذ الله ولداً) في البقرة بغير واو (وبالزبر وبالكتاب المنير) بزيادة الباء في الاسمين ونحو ذلك فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي وكقراءة ابن كثير (جنات تجري من تحتها الأنهار) في الموضع الأخير من سورة براءة بزيادة من فإن ذلك ثابت في المصحف المكى وكذلك (فإن الله هو الغني الحميد...

(وقولنا) بعد ذلك ولو احتمالاً نعني به ما يوافق الرسم ولو تقديراً إذ موافقة الرسم قد تكون تحقيقاً وهو الموافقة الصريحة قد تكون تقديراً وهو الموافقة احتمالاً فإنه قد خولف صريح الرسم في مواضع إجماعاً نحو (السموات والصلحات واليل والصلوة والزكوة والربوا).....وقد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقاً ويوافقه بعضها تقديرا نحو (ملك يوم الدين) فإنه كتب بغير ألف في جميع المصاحف فقراءة الحذف تحتمله تخفيفاً كما كتب (ملك الناس) وقراءة الألف محتملة تقديراً كما كتب (مالك الملك) فتكون الألف حذفت اختصاراً وكذلك (النشأة) حيث كتبت بالألف وافقت قراءة المد تحقيقاً ووافقت قراءة القصر تقديراً إذ يحتمل أن تكون الألف صورة الهمزة على غير القياس كما كتب (موئلا) وقد توافق اختلافات القراءات الرسم تحقيقاً نحو (أنصار الله، ونادته الملائكة، ويغفر لكم، ويعملون، وهيت لك) ونحو ذلك مما يدل تجرده عن النقط والشكل وحذفه وإثباته على فضل عظيم للصحابة رضي الله عنهم في علم الهجاء خاصة وفهم ثاقب في تحقيق كل علم)[1].

قال أبو شامة: (فالحاصل إنا لسنا ممن يلتزم التواتر في جميع الألفاظ المختلف فيها بين القراء، بل القراءات كلها

١ النشر: ١/٢٠.

منقسمة إلى متواتر وغير متواتر، وذلك بين لمن أنصف وعرف وتصفح القراءات وطرقها.وغاية ما يبديه مدعي تواتر المشهور منها كإدغام أبي عمرو ونقل الحركة لورش وصلة ميم الجمع وهاء الكناية لابن كثير أنه متواتر عن ذلك الإمام الذي نسبت تلك القراءة إليه بعد أن يجهد نفسه في استواء الطرفين والواسطة إلا أنه بقي عليه التواتر من ذلك الإمام إلى النبي-صلى الله عليه وسلم -كل فرد فرد من ذلك، وهنالك تكسب العبرات!!، فإنها من ثم لم تنقل إلا آحادًا، إلا اليسير منها.

وقد حققنا هذا الفصل أيضا في «كتاب البسملة الكبير» ونقلنا فيه من كلام الحذاق من الأئمة المتقنين ما تلاشى عنده شبه المشنعين، وبالله التوفيق) انتهى.[1]

وقال أيضا: (ولا يلزم في ذلك تواتر، بل تكفي الآحاد الصحيحة من الاستفاضة وموافقة خط المصحف وعدم المنكرين لها نقلا، وتوجيهها من حيث اللغة، والله أعلم)[2].

وقال أيضا: (فإن اختلت هذه الأركان الثلاثة أطلق على تلك القراءة أنها شاذة وضعيفة. أشار إلى ذلك كلام الأئمة المتقدمين، ونص عليه الشيخ المقرئ أبو محمد مكي

١ المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة، دار صادر، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ص١٧٨.

٢ المصدر نفسه: ص١٤٥.

بن أبي طالب القيرواني في كتاب مفرد صنفه في معاني القراءات السبع...)[1].

قال مكي بن أبي طالب القيسي: القراءة الصحيحة ما صح سندها إلى النبي -صلى الله عليه وسلم -وساغ وجهها في العربية، ووافقت خط المصحف[2].

وقال أيضا: (والأصل المعتمد عليه عند الأئمة في ذلك أنه الذي يصح سنده في السماع ويستقيم وجهه في العربية ووافق خط المصحف ...)[3].

ووافقه ابن الجزَري في آخر قوليه كما في النشر. قال ابن الجزري - وهو قوله المتأخر في المسألة -: (كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصحّ سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن

١ المصدر نفسه: ص١٧٢.

٢ الإبانة عن معاني القراءات، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي. تحقيق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ص٣٩.

٣ الإبانة» لمكي ص٣٩.

السبعة، أم عمن هو أكبر منهم، وهذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرّح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ونصّ عليه في غير موضع الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب وكذلك الإمام أبو العباس أحمد بن عمّار المهدوي وحققه الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه)ا هـ[1].

وقال: (وَقَدْ شَرَطَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ التَّوَاتُرَ فِي هَذَا الرُّكْنِ، وَلَمْ يَكْتَفِ فِيهِ بِصِحَّةِ السَّنَدِ، وَزَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَثْبُتُ إِلاَّ بِالتَّوَاتُرِ، وَإِنَّ مَا جَاءَ مَجِيءَ الْآحَادِ لَا يَثْبُتُ بِهِ قُرْآنٌ، وَهَذَا مَا لَا يَخْفَى مَا فِيهِ، فَإِنَّ التَّوَاتُرَ إِذَا ثَبَتَ لَا يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الرُّكْنَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ مِنَ الرَّسْمِ وَغَيْرِهِ إِذْ مَا ثَبَتَ مِنْ أَحْرُفِ الْخِلَافِ مُتَوَاتِرًا عَنِ النَّبِيِّ - - وَجَبَ قَبُولُهُ وَقُطِعَ بِكَوْنِهِ قُرْآنًا سَوَاءٌ وَافَقَ الرَّسْمَ أَمْ خَالَفَهُ وَإِذَا اشْتَرَطْنَا التَّوَاتُرَ فِي كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الْخِلَافِ انْتَفَى كَثِيرٌ مِنْ أَحْرُفِ الْخِلَافِ الثَّابِتِ عَنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ السَّبْعَةِ وَغَيْرِهِمْ وَقَدْ كُنْتُ قَبْلُ أَجْنَحُ!! إِلَى هَذَا الْقَوْلِ، ثُمَّ ظَهَرَ فَسَادُهُ وَمُوَافَقَةُ أَئِمَّةِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ!

(قال) الإمام الكبير أبو شامه في «مرشده»: وقد شاع على

١ النشر:١/٩.

ألسنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين أن القراءات السبع كلها متواترة أي كل فرد فرد ما روى عن هؤلاء الأئمة السبعة قالوا والقطع بأنها منزلة من عند الله واجب ونحن بهذا نقول ولكن فيما اجتمعت على نقله عنهم الطرق واتفقت عليه الفرق من غير نكير له مع أنه شاع واشتهر واستفاض فلا أقل من اشتراط ذلك إذا لم يتفق التواتر في بعضها.

(وقال) الشيخ أبو محمد إبراهيم بن عمر الجعبري أقول: الشرط واحد وهو صحة النقل ويلزم الآخران فهذا ضابط يعرف ما هو من الأحرف السبعة وغيرها: فمن أحكم معرفة حال النقلة وأمعن في العربية وأتقن الرسم انحلت له هذه الشبهة.

(وقال) الإمام أبو محمد مكي في مصنفه الذي ألحقه بكتابه «الكشف» له: فإن سأل سائل فقال: فما الذي يقبل من القرآن الآن فيقرأ به وما الذي لا يقبل ولا يقرأ به وما الذي يقبل ولا يقرأ به؟ فالجواب أن جميع ما روى في القرآن على ثلاثة أقسام: قسم يقرأ به اليوم وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال وهنّ أن ينقل عن الثقات عن النبي صلى الله عليه وسلم ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن سائغاً ويكون موافقاً لخط المصحف فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قرئ

به وقطع على مغيبه وصحته وصدقه لأنه أخذ عن إجماع من جهة موافقة خط المصحف وكفر من جحده.

قال (والقسم الثاني) ما صح نقله عن الآحاد وصح وجهه في العربية وخالف لفظه خط المصحف فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلتين إحداهما أنه لم يؤخذ بإجماع إنما أخذ بأخبار الآحاد ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد، والعلة الثانية أنه مخالف لما قد أجمع عليه فلا يقطع على مغيبه وصحته وما لم يقطع على صحته لا يجوز القراءة به ولا يكفر من جحده ولبئس ما صنع إذا جحده.

قال (والقسم الثالث) هو ما نقله غير ثقة أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف قال ولكل صنف من هذه الأقسام تمثيل تركنا ذكره اختصاراً)[1].

قال الشوكاني -رحمه الله- في النيل: (والمصنف رحمه اللهَّ [يقصد مجد الدين بن تيمية صاحب منتقى الأخبار] عقد هذا الباب للرد على من يقول: إنها لا تجزئ في الصلاة إلا قراءة السبعة القراء المشهورين قالوا: لأن ما نقل آحاديًا ليس بقرآن ولم تتواتر إلا السبع دون

١ النشر: ١/٢٠.

غيرها فلا قرآن إلا ما اشتملت عليه. وقد رد هذا الاشتراط إمام القراآت الجزري فقال في النشر: زعم بعض المتأخرين أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ولا يخفى ما فيه لأنا إذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابتة عن هؤلاء السبعة وغيرهم وقال: ولقد كنت أجنح إلى هذا القول ثم ظهر فساده وموافقة أئمة السلف والخلف على خلافه وقال: القراءة المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع عليه في قراءتهم تركن النفس إلى ما نقل عنهم فوق ما نقل عن غيرهم اهـ. فانظر كيف جعل اشتراط التواتر قولًا لبعض المتأخرين وجعل قول أئمة السلف والخلف على خلافه.

وقال أيضًا في النشر: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا وصح إسنادها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم غيرهم من الأئمة عن المقبولين ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أو عمن

هو أكبر منهم هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف صرح بذلك المدني والمكي والمهدوي وأبو شامة وهو مذهب السلف الذي لا يعرف من أحدهم خلافه قال أبو شامة في المرشد الوجيز: لا ينبغي أن يغتر بكل قراءة تعزى إلى أحد هؤلاء السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة وأنها نزلت هكذا إلا إذا دخلت في تلك الضابطة وحينئذ لا ينفرد مصنف عن غيره ولا يختص ذلك بنقلها عنهم بل إن نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تنسب إليه إلى آخر كلام الجزري الذي حكاه عنه صاحب الإتقان.

وقال أبو شامة: شاع على ألسنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين أن السبع كلها متواترة أي كل حرف مما يروى عنهم قالوا والقطع بأنها منزلة من عند اللهَّ واجب ونحن نقول بهذا القول ولكن فيما أجمعت على نقله عنهم الطرق واتفقت عليه الفرق من غير نكير فلا أقل من اشتراط ذلك إذ لم يتفق التواتر في بعضها اهـ.

قال الشوكاني: إذا تقرر لك إجماع أئمة السلف والخلف على عدم تواتر كل حرف من حروف القرآآت السبع وعلى أنه لا فرق بينها وبين غيرها إذا وافق وجهًا عربيًا

وصح إسناده ووافق الرسم ولو احتمالًا بما نقلناه عن أئمة القراء تبين لك صحة القراءة في الصلاة بكل قراءة متصفة بتلك الصفة سواء كانت من قراءة الصحابة المذكورين في الحديث أو من قراءة غيرهم وقد خالف هؤلاء الأئمة النويري المالكي في شرح الطيبة فقال عند شرح قول الجزري فيها:

فكل ما وافق وجه نحوي * وكان للرسم احتمالًا يحوي

وصح إسنادًا هو القرآن * فهذه الثلاثة الأركان

وكل ما خالف وجهًا أثبت * شذوذه لو أنه في السبعة[1]

ما لفظه: ظاهره أن القرآن يكتفى في ثبوته مع الشرطين المتقدمين بصحة السند فقط ولا يحتاج إلى التواتر وهذا قول حادث مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم من الأصوليين والمفسرين اهـ وأنت تعلم أن نقل مثل الإمام الجزري وغيره من أئمة القراءة لا يعارضه نقل النويري لما يخالفه لأنا إن رجعنا إلى الترجيح بالكثرة أو الخبرة بالفن أو غيرهما من المرجحات قطعنا بأن نقل أولئك الأئمة أرجح وقد وافقهم عليه كثير من أكابر الأئمة حتى إن الشيخ زكريا بن محمد الأنصاري لم يحك في غاية الوصول إلى شرح لب الأصول الخلاف لما حكاه الجزري وغيره عن

١ طيبة النشر، ص١.

أحد سوى ابن الحاجب)[1].

قال ابن تيمية: «وَتَجُوزُ الْقِرَاءَةُ فِي الصَّلَاةِ وَخَارِجَهَا بِالْقِرَاءَاتِ الثَّابِتَةِ الْمُوَافِقَةِ لِرَسْمِ الْمُصْحَفِ كَمَا ثَبَتَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَاتُ وَلَيْسَتْ شَاذَّةً حِينَئِذٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ». [2]

وقال الزرقاني: «إن هذه الأركان الثلاثة تكاد تكون مساوية للتواتر في إفادة العلم القاطع بالقراءات المقبولة، بيان هذه المساواة أن ما بين دفتي المصحف متواتر، ومجمع عليه من هذه الأمة في أفضل عهودها وهو عهد الصحابة فإذا صح سند القراءة ووافقت عليه قواعد اللغة ثم جاء ت موافقة لخط المصحف المتواتر كانت هذه الموافقة قرينة على إفادة هذه الرواية للعلم القاطع وإن كانت آحاداً..... فكأن التواتر كان يطلب تحصيله في الإسناد قبل أن يقوم المصحف وثيقة متواترة بالقرآن أما بعد وجودهذا المصحف المجمع عليه فيكفي في الرواية صحتها وشهرتها متى ماوافقت رسم هذا المصحف ولسان العرب..

وهذا التوجيه الذي وجهنا به الضابط السالف يجعل الخلاف كأنه لفظي ويسير بجماعات القراء جدد الطريق

١ نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني. تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م: ٣/٣٨٦.

٢ «مجموع الفتاوى»:(١٣/ ٤٠٣).

في تواتر القرآن).ا.هـ[1]

وقراءة الأئمة العشرة التي أجمع الناس على تلقيها بالقبول، هم: أبو جعفر، ونافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف. أخذها الخلف عن السلف، إلى أن وصلت إلى زماننا.

قال الشاطبي:

فَأَمَّا الْكَرِيمُ السِّرِّ في الطيِّبِ نَافِعٌ * فَذَاكَ الَّذِي اخْتَارَ الْمَدِينَةَ مَنْزِلاَ

وَقَالُونُ عِيسى ثُمَّ عُثْمانُ وَرْشُهُمْ * بِصُحْبَتِهِ المَجْدَ الرَّفِيعَ تَأَثَّلاَ

وَمَكَّةُ عَبْدُ اللهِ فِيهَا مُقَامُهُ* هُوَ أبْنُ كَثِيرٍ كاثِرُ الْقَوْمِ مُعْتَلاَ

رَوى أَحْمَدُ الْبَزِّي لَهُ وَمُحَمَّدٌ * عَلَى سَنَدٍ وَهْوَ المُلَقَّبُ قُنْبُلاَ

وَأَمَّا الإِمَامُ المَازِنِيُّ صَرِيحُهُمْ* أَبُو عَمْرٍو الْبَصْرِي فَوَالِدُهُ الْعَلاَ

أَفَاضَ عَلَى يَحْيَ الْيَزِيدِيِّ سَيْبَهُ* فَأَصْبَحَ بِالْعَذْبِ الْفُرَاتِ مُعَلَّلاَ

أَبُو عُمَرَ الدُّورِي وَصَالِحُهُمْ أَبُو* شُعَيْبٍ هُوَ السُّوسِيُّ عَنْهُ تَقَبَّلاَ

وَأَمَّا دِمَشْقُ الشَّامِ دَارُ ابْنُ عَامِرٍ* فَتْلِكَ بِعَبْدِ اللهِ طَابَتْ مُحَلَّلاَ

هِشَامٌ وَعَبْدُ اللهِ وَهْوَ انْتِسَابُهُ * لِذَكْوَانَ بِالإِسْنَادِ عَنْهُ تَنَقَّلاَ

---

١ ينظر مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦،تحقيق: مكتب البحوث والدراسات: ٢٩٥/١.

وَبِالْكُوفَةِ الْغَرَّاءِ مِنْهُمْ ثَلاَثَةٌ * أَذَاعُوا فَقَدْ ضَاعَتْ شَذاً وَقَرَ نْفُلاَ

فَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ وَعَاصِمٌ اسْمُهُ * فَشُعْبَةُ رَاوِيهِ الْمُبَرِّزُ أَفْضَلاَ

وَذَاكَ ابْنُ عَيَّاشٍ أَبُو بَكْرٍ الرِّضَا* وَحَفْصٌ وَبِالإتْقَانِ كانَ مُفضَّلاَ

وَحَمْزَةُ مَا أَزْكاهُ مِنْ مُتَوَرِّعٍ * إِمَاماً صَبُوراً لِلقُرانِ مُرَتِّلاَ

رَوَى خَلَفٌ عَنْهُ وَخَلاَّدٌ الَّذِي * رَوَاهُ سُلَيْمٌ مُتْقِناً وَمُحَصِّلاَ

وَأَمَّا عَلِيٌّ فَالْكِسَائِيُّ نَعْتُهُ * لِمَا كانَ فِي الْإِحْرَامِ فِيهِ تَسَرْبَلاَ

رَوَى لَيْثُهُمْ عَنْهُ أَبُو الْحَارِثِ الرِّضاَ * وَحَفْصٌ هُوَ الدُّورِيُّ وَفِي الذِّكْرِ قَدْ خَلاَ

أَبُو عَمْرِهِمْ والْيَحْصَبِيُّ ابْنُ عَامِرٍ * صَرِيحٌ وَبَاقِيهِمْ أَحَاطَ بِهِ الْوِلاَ[1]

وقال ابن الجزري:

أبو جعفر عنه ابن وردان ناقل *كذاك ابن جماز سليمان ذو العلا

ويعقوب قل عنه رويس وروحهم* وإسحاق مع إدريس عن خلف تلا

لثان أبو عمرو والاول نافع *وثالثهم مع أصله قد تأصلا[2]

١ متن الشاطبية، ص٢.

٢ الدرة المضية في القراءات الثلاث المتتمة للعشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف. تحقيق: محمد تميم الزعبي، دار الهدى، ط٢، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ص١٣.

خامساً: القارئ والمقرئ:

١. القارئ قسمان:

ا. القارئ المبتدي: وهو مَن شرع في الإفراد إلى أن يفرد ثلاثًا من القراءات.

ب. القارئ المنتهي: وهو مَن نقل من القراءات أكثرها وأشهرها.

٢. المقرئ: وهو العالِم بالقراءات، ورواها مشافهةً.[1].

سادساً: القراءة:

وهي كل خلاف نُسب إلى إمام من أئمة القراءات مما أجمع عليه الرواة عنه، مثال ذلك قوله -تعالى-: {بل عجبت ويسخرون} فكلمة: { عجبت } فيها قراءتان صحيحتان، القراءة الأولى الصحيحة بفتح التاء، وهي قراءة المدنيين والمكي والبصريين والشامي وعاصم، والقراءة الثانية الصحيحة بضم التاء، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف العاشر. لم ينفرد في هذه الكلمة راوٍ، فليس في هذه الكلمة خلاف للرواة؛ وإنما الخلاف بين القراء.

١ منجد المقرئين ومرشد الطالبين:ص٩.

سابعاً: الراوية:

وهي كل خلاف مختار ينسب للراوي عن الإمام، مما اجتمع عليه الرواة.[1]

أو هي كل خلاف نُسب إلى الآخذ عن إمام من أئمة القراءة، ولو بواسطة.

ومثال الخلاف المنسوب إلى الآخذ عن إمام من أئمة القراءة قول الله تعالى: {ولا تقربوهن حتى يطهرن} فشعبة يقرأ بفتح الطاء والهاء مع التشديد فيهما، وحفص يقرأ بسكون الطاء وضم الهاء مخففة. ففي نحو هذا الخلاف نقول: «رواية شعبة عن عاصم « و»رواية حفص عن عاصم» ولا نقول: قراءة عاصم؛ لأن الراويين اختلفا هنا. وهلم جرا.وقد يقال عن الراوية: «قراءة» من باب التجوز.

ومثال عدم الواسطة رواية قالون عن نافع، ورواية حفص عن عاصم، فكل واحد منهما تتلمذ على شيخه، وأخذ القراءة عنه مباشرة من غير واسطة. ومثال الواسطة رواية الدوري عن أبي عمرو فهو بواسطة يحي اليزيدي.

---

١ سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، أبو القاسم (أو أبو البقاء) علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن المعروف بابن القاصح العذري البغدادي ثم المصري الشافعي المقرئ. مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط٣، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م: ص ١٣.

قال الشاطبي:

وَأَمَّا الإِمَامُ المَازِنِيُّ صَرِيحُهُمْ* أَبُو عَمْرٍو الْبَصْرِي فَوَالِدُهُ الْعَلاَ

أَفَاضَ عَلَى يَحْيَى الْيَزِيدِيِّ سَيْبَهُ* فَأَصْبَحَ بِالْعَذْبِ الْفُرَاتِ مُعَلَّلاَ

أَبُو عُمَرَ الدُّورِي وَصَالِحُهُمْ أَبُو * شُعَيْبٍ هُوَ السُّوسِيُّ عَنْهُ تَقَبَّلاَ[1]

ثامناً: الطريق:

وهو كل خلاف مختارينسب للآخذ عن الراوي وإن سفل[2]. مثال ذلك قولنا: طريق أبي نشيط عن قالون، وطريق الحلواني عن قالون، وطريق الأزرق عن ورش، وطريق الأصبهاني عن ورش.

فطريق أبي نشيط من طريق الشاطبية للشاطبي، والحلواني من طرق طيبة النشر لابن الجزري.

وطريق الأزرق من طريق الشاطبية للشاطبي، وطريق الأصبهاني من طرق طيبة النشر لابن الجزري،وبالمثال يتضح الحال، ويرفع الإشكال مثال ذلك لقالون كلمة:(والمؤتفكة، والمؤتفكات). له فيها تحقيق الهمز وإبدالها، وكذلك اجتماع التوراة وميم الجميع والمنفصل. فتحقيق الهمز وإبدالها في:(والمؤتفكة والمؤتفكات)من طريق الحلواني وتحقيقها من

١ متن الشاطبية، ص٣.

٢ سراج القاري: ص ١٣.

طريق الشاطبية.

وله في اجتماع التوراة وميم الجميع والمنفصل من طريق أبي نشيط خمسة أوجه:

الأول: فتح التوراة، وقصر المنفصل وصلة الميم. الثاني: فتح التوراة ومد المنفصل وسكون الميم. الثالث: تقليل التوراة، وقصر المنفصل، وسكون الميم.

الرابع: التقليل، ومد المنفصل، وسكون الميم. الخامس: مثله مع صلة الميم.

ومثال ذلك لورش كلمة: (التوراة) له فيها طريقان: طريق الأصبهاني بالإمالة، وطريق الأزرق بالتقليل، وهلم جرا.

تاسعاً: الوجه:

وهو كل خلاف ينسب لاختيار القاري[1]. وهو من قبيل الخلاف الجائز كعارض السكون ونحوه.

١ الإتقان: ٢٠٩/١.

عاشراً: معنى الأحرف السبعة، وحقيقتها.

جاء في الصحيح عن النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ-أنه قال: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»[1].

ولقد اختلف العلماء في معنى الأحرف السبعة اختلافا كثيرا.

قال أبو حاتم بن حبان البستى: (اختلف الناس فيها على خمسة وثلاثين قولا)[2].

وقال السيوطي: (اختلف في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولا)[3].

ومن هذه الأقوال أن حقيقة العدد سبعة مرادة، وأن الأحرف السبعة هي اللغات: قريش وهذيل وثقيف وهوازن وكنانة وتميم واليمن أو اللهجات؛ لقول عثمان- رضي الله عنه-: (وما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش فإنه أكثر ما نزل بلسانهم)[4].

---

١ أخرجه البخاري كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، ٤٩٩٢.

٢ البرهان:١/٢١٢.

٣ الإتقان:١/١٦٤.

٤ المصدر السابق:١/٢١٨.

قال الزركشي: (وقال الأزهري في التهذيب إنه المختار، واحتج بقول عثمان حين أمرهم بكتب المصاحف وما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش فإنه أكثر ما نزل بلسانهم، وقال البيهقى في شعب الإيمان إنه الصحيح أي: أن المراد اللغات السبع التى هي شائعة في القرآن واحتج بقول ابن مسعود سمعت القراء فوجدتهم متقاربين اقرءوا كما علمتم وإياكم والتنطع فإنما هو كقول أحدهم هلم وتعال وأقبل.

قال: وكذلك قال ابن سيرين. قال: لكن إنما تجوز قراءته على الحروف التي هي مثبتة في المصحف الذي هو الإمام بإجماع الصحابة، وحملوها عنهم دون غيرها من الحروف وإن كانت جائزة في اللغة.

وأنكر ابن قتيبة وغيره هذا القول وقالوا: لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش؛ لقوله –تعالى-:(وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه). قال ابن قتيبة: ولا نعرف في القرآن حرفا واحدا يقرأ على سبعة أوجه.

وغلطه ابن الأنباري بحروف منها: (وعبد الطاغوت) وقوله: (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب) وقوله:(باعد بين أسفارنا)، وقوله: (بعذاب بئيس) وغير ذلك[1].

---

١ البرهان للزركشي: ١٨/١.

واختار هذا القول سفيان بن عيينة، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وابن جرير الطبري[1].

وقال الحافظ أبو عمرو الداني: (فأما معنى الأحرف التي أرادها النبي - صلى الله عليه و سلم- ههنا فإنه يتوجه إلى وجهين: أحدهما: أن يكون يعني بذكر أن القرآن أنزل على سبعة (أحرف سبعة) أوجه من اللغات؛ لأن الأحرف جمع حرف في الجمع القليل مثل: فلس وأفلس، ورأس وأروس والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى: { ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه } فالمراد بالحرف ههنا الوجه الذي تقع عليه العبادة، يقول جل ثناؤه: (ومن الناس من يعبد الله على النعمة تصيبه والخير يناله): من تثمير المال وعافية البدن وإعطاء السؤال ويطمئن إلى ذلك مادامت له هذه الأمور واستقامت له هذه الأحوال، فإن تغيرت حاله وامتحنه الله تعالى بالشدة في عيشه والضر في بدنه والفقر في ماله ترك عبادة ربه، وكفر به فهذا عبد الله -سبحانه وتعالى- على وجه واحد ومذهب واحد، وذلك معنى الحرف.

١ ينظر جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير: أبي جعفر الطبري،تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - وصحح هذه الرواية الألباني. ينظر صحيح الترغيب والترهيب - للألباني،، مكتبة المعارف – الرياض، ط١:٢١/٥، والبرهان في علوم القرآن للزركشي،: ١٨/١.

ولو عبده تبارك وتعالى على الشكر للنعمة والصبر عند المصيبة والرضى بالقضاء عند السراء والضراء والشدة والرخاء والفقر والغنى والعافية والبلاء - إذ كان سبحانه أهلا أن يتعبد على كل حال - لم يكن عبده تعالى على حرف.

فلهذا سمي النبي- صلى الله عليه و سلم- هذه الأوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات أحرفا على معنى أن كل شيء منها وجه على حدته غير الوجه الآخر كنحو قوله: { ومن الناس من يعبد الله على حرف } أي: على وجه إن تغير عليه تغير عن عبادته وطاعته على ما بيناه.

والوجه الثاني من معنى الأحرف: أن يكون - صلى الله عليه وسلم - سمى القراءات أحرفا على طريق السعة، كنحو ما جرت عليه عادة في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه وما قاربه وجاوره، وكان كسبب منه وتعلق به ضربا من التعلق وتسميتهم الجملة باسم البعض منها، فلذلك سمي النبي - صلى الله عليه وسلم- القراءة حرفا، وإن كان كلاما كثيرا من أجل أن منها حرفا قد غير نظمه أو كسر أو قلبإلى غيره أو أميل أو زيد أو نقص منه على ما جاء في المختلف فيه من القراءة، فلما كان ذلك نسب -صلى الله عليه و سلم- القراءة والكلمة التامة

إلى ذلك الحرف المغير المختلف اللفظ من القراءة، فسمى القراءة إذ كان ذلك الحرف منها حرفا على عادة العرب في ذلك، واعتمادا على استعمالها نحوه، ألا ترى أنهم قد يسمون القصيدة قافية، إذ كانت القافية منها كما قال: وقافية مثل حد السنان * تبقى ويهلك من قالها.

يعني وقصيدة فسماها قافية على طريق الاتساع، وكذا يسمون الرسالة على نظامها والخطبة لكمالها، والقصيدة كلها والقصة بأسرها كلمة إذ كانت الكلمة منها فيقولون: قال قس في كلمته كذا، يعنون خطبته، وقال زهير في كلمته كذا، يريدون قصيدته، وقال فلان في كلمته كذا أي: في رسالته...)[1].

قال في المنبهة:

والأحرف التي بها الكتاب * منزل وكلها صواب

على الذي أتى عن الأثبات * فسبعة من أفصح اللغات

جاء بها عن ربه جبريل * وقال قد خص بها التنزيل

فاقرأ بها أنت وكل أمتك * فإنها توسعة في سنتك

وكلها مستحسن وكافٍ * وكلها لمبتغيها شافٍ

١ الأحرف السبعة للقرآن لأبي عمرو الداني، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٨، ١/ ٢٧.

بأي حرف شئتم قرأتم * منها ووجه الحق قد أصبتم

ما لم تتموا آية الثواب * وذكرها بآية العقاب

أو آية العقاب بالثواب * فإن ذاك ليس بالصواب

فأقرأ الصحب بها الرسول * على الذي جاء به جبريل

وقرأ الصحب بها زمانا * إلى خلافة الرضا عثمانا

فكثر الخلاف والمراء * حينئذ واختلف القراء

في أحرف الذكر وفي اللغات * فاجتمع الكل على القراة

بواحد من الحروف السبعه * إذ فيه مقنع لهم ومتعه[1]

قال ابن الجزري: (وكلا الوجهين محتمل؛ إلا أن الأول محتمل احتمالا قويا في قوله - صلى الله عليه وآله وسلم-: (سبعة أحرف) أي: سبعة أوجه وأنحاء، والثاني محتمل احتمالا قويا في قول عمر - رضي الله عنه - في الحديث: سمعت هشاما يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول - صلى الله عليه وآله وسلم-. أي: على قراءات كثيرة وكذا قوله في الرواية الأخرى: سمعته يقرأ فيها أحرفا لم يكن نبي الله -صلى الله عليه وآله وسلم-

١ الأرجوزة المنبهة، ص٩٠.

أقرأنيها. فالأول غير الثاني...)[1].

وقال ابن الجزري: (ولا زلت أستشكل هذا الحديث وأفكر فيه، وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة؛ حتى فتح الله عليَّ بما يمكن أن يكون صوابًا -إن شاء الله تعالى: وذلك أني تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها؛ فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجهٍ من الاختلاف لا يخرج عنها، وذلك إما في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة، نحو: «البخل» بأربعة أوجه.

ويحسب بوجهين، أو بتغيير في المعنى فقط، نحو: {فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ} [البقرة:٣٧]. {وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ} [يوسف:٤٥] «وأُمَّـهِ».

وإما في الحروف بتغيير المعنى لا الصورة، نحو: {تَبۡلُواْ} و{تَتۡلُواْ}. «وننحِّيك ببدنك لتكونَ لمن خلفك آيةً». «وننحيك».أو عكس ذلك نحو: «بصطة» و{بَسۡطَةً} [البقرة: ٢٤٧]. و{ٱلصِّرَٰطَ} [الفاتحة: ٦] و «السراط».

أو بتغييرهما نحو: {أَشَدَّ منكم ومنهم}.[غافر: ٢١] و{يَأۡتَلِ} [النور: ٢٢] و «يتألَّ». و «فامضوا إلى ذكر الله». وإما في التقديم والتأخير نحو: {فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ} [التوبة: ١١١].

---

١ النشر: ١/٣٥.

«وجاءت سكرة الحق بالموت» [ق: ١٩]. أو في الزيادة والنقصان نحو: «وأوصَى» [البقرة: ١٣٢]. و»الذكر والأنثى» [الليل: ٣]. فهذه سبعةُ أوجهٍ لا يخرج الاختلاف عنها.

وأما نحو اختلاف الإظهار والإدغام، واختلاف الرَّوْم والإشمام، والتفخيم والترقيق، والمد والقصر، والإمالة، واختلاف الفتح والتحقيق، والتسهيل والإبدال والنقل، مما يعبَّر عنه بالأصول، فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ والمعنى؛ لأنّ هذه الصفات المتنوعة في أدائه، لا تُخرجه عن أن يكون لفظًا واحدًا، ولا إن فُرِضَ فيكون من الأول.

ثم رأيت الإمام الكبير -أبا الفضل الرازي[1]- حاول ما ذكرته؛ فقال: إنّ الكلام لا يخرج اختلافُه عن سبعة أوجه:

الأول: اختلاف الأسماء من الإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث، والمبالغة، وغيرها.

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال، وما يُسند إليها من نحو: الماضي والمضارع والأمر، والإسناد إلى المذكر والمؤنث،

١ والإمام الرازي لم يختر قولا، ولم يرجح شيئا منها. **قال - رحمه الله -:" فأما ما أعتقده في الخبر من وراء ما ذكرته؛ وهو أسلم المذاهب؛ وهو التوصل إلى ما كلفنا بهذه الأخبار؛ والإمساك عما كفينا منها، فأما ما كلفنا منه فهو أن نقرأ ما علمنا من القرآن... "**. ينظر معاني الأحرف السبعة لأبي الفضل الرازي دار الأنوار، سورية، ط١ ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م، ص٣٥٢.

والمتكلم والمخاطَب، والفاعل والمفعول به.

الثالث: وجوب الإعراب.

الرابع: الزيادة والنقص.

الخامس: التقديم والتأخير.

السادس: القلب والإبدال في كلمة بأخرى. وفي حرف بآخر.

السابع: اختلاف اللغات من فتح وإمالة، وترقيق وتفخيم، وتحقيق وتسهيل، وإدغام وإظهار، ونحو ذلك.

ثم وقفتُ على كلام ابن قتيبة، وقد حاول ما حاولنا بنحو آخر، فقال: وقد تدبرتُ وجوهَ الاختلاف في القراءات، فوجدتها سبعةً:

الأول: في الإعراب بما لا يزيل صورتها في الخط، ولا يغير معناها، نحو: {هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ} [هود: ٧٨] و«أطهَرَ». «وهل يُجازَى إلا الكفورُ». و{نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ} [سبأ: ١٧]. و «بالبَخَل»، و{مَيۡسَرَةٍ} [البقرة: ٢٨٠]. و «مَيْسُرَة».

والثاني: الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها، نحو: {رَبَّنَا بَٰعِدۡ} [سبأ: ١٩]. و «ربُّنا باعد» و{إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ} [النور: ١٥] و «تَلْقَوْنَهُ».

و{بَعۡدَ أُمَّةٍ} و «بعد أُمِّهِ».

والثالث: الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها، نحو: «وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا».و{نُنشِزُهَا} [البقرة: ٢٥٩] و{إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ} [سبأ: ٢٣] و «فَرَّغَ عن قلوبهم».

والرّابع: أن يكون الاختلافُ في الكلمة بما يغير صورتها ومعناها، نحو: «طَلْعٍ نَضِيد» [ق: ١٠] في موضع. {ﮍمنضود} [الواقعة: ٢٩] في آخر.

والخامس: أنْ يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها، نحو: «إلا ذُقيةً واحدةً». و{صَيۡحَةً وَٰحِدَةً} [يس: ٢٩]. و{كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ} [القارعة: ٥]. وكـ «الصوف».

والسادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير، نحو: «وجاءت سكرة الحق بالموت» في {سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ} [ق: ١٩].

والسابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو: «وما عملت أيديه»وإن الله هو الغني الحميد، وهذا أخي له تسع تسعون نعجة أنثى».[1]

ولكن مما يؤخذ على ابن قتيبة في تفسيره للأحرف

١ ينظر مشكل تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ٣٦، والنشر:٣٧/١،والنشر: ٣٥/١.

السبعة عدم ذكره أصول القراءات كالإدغام والإمالة والفتح والمد والقصر ونحو ذلك.

ولكن أجمعوا على أنه ليس المقصود أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه؛ إذ لا يوجد ذلك إلا في كلمات يسيرة نحو: (أف، وجبريل، وأرجه وهيهات وهيت) وعلى أنه لا يجوز أن يكون المراد هؤلاء السبعة القراء المشهورين، وإن كان يظنه بعض العوام؛ لأن هؤلاء السبعة لم يكونوا خلقوا ولا وجدوا، وأول من جمع قراءاتهم أبو بكر بن مجاهد في أثناء المائة الرابعة[1].

فقد اختار أئمة ثقات من مختلف الأمصار؛ لأجل أن تكون قراءتهم قدوةً، فكانابن مجاهد -رحمه الله- رائد هذا الاتجاه في كتابه (السبعة) أراد– رحمه الله- أن يستخلص قراءات القراء المشهورين بها من أشهر الأمصار الإسلامية التي حُملت القراءات عنها.

لأجل الحفاظ على منهج القراءات؛ ولئلا تخرج عن طريق النقل الموثوق به إلى النقل المشكوك فيه، أو عن طريق الرواية والنقل عن الرسول إلى طريق الاجتهادات الشخصية.

وأما اقتصار أهل الأمصار في الأغلب على نافع، وابن

١ النشر:١/٣٥.

كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبي جعفر ويعقوب وخلف العاشر فهو اختصار واختيار، واشتهار إمامتهم، في الإقراء، وتجردهم له، مع تبحرهم في سائر العلوم، وصحة سندهم لفظًا وسماعًا حرفًا حرفًا من أول القرآن الكريم إلى آخره[1].

قال ابن الجزري: (وهل هذه السبعة الأحرف متفرقة في القرآن؟ فلا شك عندنا في أنها متفرقة فيه، بل وفي كل رواية وقراءة باعتبار ما قررناه في وجه كونها سبعة أحرف لا أنها منحصرة في قراءة ختمة وتلاوة رواية، فمن قرأ ولو بعض القرآن بقراءة معينة اشتملت على الأوجه المذكورة، فإنه يكون قد قرأ بالأوجه السبعة التي ذكرناها دون أن يكون قرأ بكل الأحرف السبعة.

(وأما) قول أبي عمرو الداني: إن الأحرف السبعة ليست متفرقة في القرآن كلها ولا موجودة فيه في ختمة واحدة بل بعضها.

فإذا قرأ القارئ بقراءة من القرآت أو رواية من الروايات فإنما قرأ ببعضها لا بكلها، فإنه صحيح على ما أصَّله من أن الأحرف هي اللغات المختلفات، ولا شك أنه من قرأ برواية من الروايات لا يمكنه أن يحرك الحرف ويسكنه

١ النشر:١/٤٩.

في حالة واحدة أو يرفعه وينصبه أو يقدمه ويؤخره فدل على صحة ما قاله[1].

- **القراءات العشر تعد من الأحرف السبعة. فهل ما يقرأ به اليوم كل الأحرف السبعة أو بعضها؟ وهل الأحرف السبعة نسخت؟.**

قال ابن الجزري -رحمه الله-: (الذي لا شك فيه أن قراءة الأمة السبعة، والعشرة وما وراء ذلك، بعض الأحرف السبعة من غير تعيين، ونحن لا نحتاج إلى الرد على مَن قال: إن القراءات السبعة هي الأحرف السبعة، فإن هذا قول لم يقله أحد من العلماء لا كبير ولا صغير، وإنما هو شيء ما تبعه العلماء قديمًا وحديثًا في حكايته، والرد عليه، وتخطئة أنفسهم، وهو شيء يظنه جهلة العوام لا غير، فإنهم يسمعون إنزال القرآن على سبعة أحرف وسبع روايات، فيتخيلون ذلك لا غير. ونحن لا نتعب أنفسنا كما أتعب مَن قبلنا أنفسَهم في ذكره والرد عليه.... قال الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي: وأصح ما عليه الحذَّاق من أهل النظر في معنى ذلك، أن ما نحن عليه في وقتنا هذا من هذه القراءات، هو بعض الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن.....فثبت بهذا أن القراءات

١ النشر:١/٤٢.

التي يقرأ بها اليوم، هي بعض الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم، استعملت بموافقتها المصحف التي أجمعت عليه الأمة، وترك ما سواها من الحروف السبعة لمخالفتها لمرسوم خط المصحف؛ إذ ليس بواجب علينا القراءة بجميع الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن[1]..... وقال مَكي -رحمه الله-: إن هذه القراءات التي يقرأ الناس بها اليوم وصحت روايتها عن الأئمة، إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، ووافق اللفظ بها خط مصحف عثمان الذي أجمع الصحابة ومَن بعدهم عليه، واطُّرِح ما سواه مما خالف خطه... وقال الإمام أبو عمرو بن عبد البر: وهذا الذي عليه الناس اليوم في مصاحفهم وفي قراءتهم، حرف من بين سائر الحروف؛ لأن عثمان جمع المصاحف عليه، وقال: وهذا الذي عليه جماعة الفقهاء فيما يقطع عليه، وتجوز الصلاة به، وبالله العصمة والهُدى.

قال ابن الجزري:... وكذا أقوال المعتبرين في ذلك: أن القراءات التي عليها الناس اليوم الموافقة لخط المصحف، إنما هي بعض الأحرف السبعة من غير تعيين، وقيل: حرف منها، وقيل: بعض حرف.[2].

١ -مُنْجِد المقرئين: ١/٧٠.
٢ مُنْجِد المقرئين: ١/٧٠.

وقال أيضا: (وَذَهَبَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، إِلَى أَنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَا يُحْتَمَلُ رَسْمُهَا مِنَ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ فَقَطْ، جَامِعَةٌ لِلْعَرْضَةِ الْأَخِيرَةِ الَّتِي عَرَضَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جِبْرِيلَ مُتَضَمِّنَةٌ لَهَا، لَمْ تَتْرُكْ حَرْفًا مِنْهَا. قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ: وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُظْهِرُ صَوَابَهُ.)[1].

وقال البغوي: (يقال: إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة. التي بين فيها ما نسخ وما بقي وكتبها للرسول {صلى الله عليه وسلم} وقرأها عليه وكان يقري الناس بها حتى مات ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر وجمعه وولاه عثمان كتب المصاحف)[2].

وقال ابن تيمية: (الْقِرَاءَاتُ السَّبْعَةُ هَلْ هِيَ حَرْفٌ مِن الْحُرُوفِ السَّبْعَةِ أَمْ لَا؟ فَالَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ مِن السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ أَنَّهَا حَرْفٌ مِن الْحُرُوفِ السَّبْعَةِ؛ بَلْ يَقُولُونَ: إنَّ مُصْحَفَ عُثْمَانَ هُوَ أَحَدُ الْحُرُوفِ السَّبْعَةِ وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ للعرضة الْآخِرَةِ الَّتِي عَرَضَهَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى جِبْرِيلَ،وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ الْمَشْهُورَةُ الْمُسْتَفِيضَةُ تَدُلُّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ.

---

١ النشر: ١/٤٤.

٢ مشكاة المصابيح للعلامة الشيخ ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي، مع شرحه مرعاة المفاتيح للشيخ أبي الحسن عبيدالله بن العلامة محمد عبدالسلام المباركفوري: ٦٤٨/٧.

وَذَهَبَ طَوَائِفُ مِن الْفُقَهَاءِ وَالْقُرَّاءِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ إلَى أَنَّ هَذَا الْمُصْحَفَ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ، وَقَرَّرَ ذَلِكَ طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ كَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الباقلاني وَغَيْرِهِ؛ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ عَلَى الْأُمَّةِ أَنْ تُهْمِلَ نَقْلَ شَيْءٍ مِنْ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ، وَقَدْ اتَّفَقُوا عَلَى نَقْلِ هَذَا الْمُصْحَفِ الْإِمَامِ الْعُثْمَانِيِّ وَتَرْكِ مَا سِوَاهُ حَيْثُ أَمَرَ عُثْمَانُ بِنَقْلِ الْقُرْآنِ مِن الصُّحُفِ الَّتِي كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ كَتَبَا الْقُرْآنَ فِيهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ عُثْمَانُ بِمُشَاوَرَةِ الصَّحَابَةِ إلَى كُلِّ مِصْرٍ مِنْ أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ بِمُصْحَفِ وَأَمَرَ بِتَرْكِ مَا سِوَى ذَلِكَ. قَالَ هَؤُلَاءِ: وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَنْهَى عَن الْقِرَاءَةِ بِبَعْضِ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ.)[1].

وقال السيوطي: ولا شك أن القرآن نُسخ منه في العرضة الأخيرة وغُيِّر، فاتفق الصحابة على أن كتبوا ما تحققوا أنه قرآن مستقرٌّ في العرضة الأخيرة، وتركوا ما سوى ذلك.)[2]. فالذي بقي من الأحرف السبعة هو ما كان في العرضة الأخيرة.وهو مذهب جَمَاهِير الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.فهي بعض الأحرف السبعة من غير تعيين، وقيل: حرف منها، وقيل: بعض حرف كما قال ابن الجزري في النشر. والله أعلم.

١ مجموع الفتاوى: ٤١٩/٤.
٢ الإتقان في علوم القرآن (١٤٢/١.

المطلب الثاني: أهمية القراءات وآداب القارئ والمقرئ

أولاً: أهمية القراءات:

إن القرآن الكريم حوى كل العلوم، وتنوع القراءات أفادنا بفوائد كثيرة جدا، لا يعلمها إلا من غاص في لججه، واعتكف على كتبه المفيدة فاستخرج لؤلؤه ودرره.

وإن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- أقرأ الصحابة -رضي الله عنهم- القراءات، والصحابة تعلموها وأقرؤوها للتابعين إلى أن وصلت القراءات إلينا كما أنزلت.وصدق الله العظيم القائل: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحفظون). (الحجر: ٩).

ولكن بعض الناس يقول: إن الاشتغال بالقراءات لا قيمة له، وهذا إطلاق باطل، بل يدل على جهله، وعدم إنصافه، وإن الصواب هو التفصيل. كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (فَلَا بُدَّ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِن التَّفْصِيلِ. وَالْمَطْلُوبُ مِن الْقُرْآنِ هُوَ فَهْمُ مَعَانِيهِ، وَالْعَمَلُ بِهِ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ هِمَّةَ حَافِظِهِ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ...)[١].

---

١ مجموع الفتاوى: ٥٤/٢٣.

وأقول: كما يقال: من جهل شيئا عاداه، ومن تكلم في غير فنه أتى بالعجائب، وفاقد الشيء لا يعطيه، ومن قل علمه كثر لغطه، فمن لم يعرف قيمة علم القراءات عاداها، ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه.

ومن قرأ كتب التفسير وبخاصة المهتمة بآيات الأحكام،وتوجيه القراءات أدرك شيئاً كثيرا مما كان يجهله. فلكل علم أهله، ولكل فن فرسانه. (كل علم يسأل عنه أهله).

يا باريَ القَوْسِ بَرْياً لستَ تُحسِنُهَا * لاَ تُفْسِدنْهَا وأعط الْقوس بَارِيها

وصدق من قال:

مَهْلاً هداك الله مَا الحديث لك * من خاض في اللجاج حتما قد هلك

لا تحسبن أن بالكُتْب مثلنا ستصير * فللدجاجة ريش لكنها لا تطير

وقال آخر:

فدع عنك الكتابة لست منها * ولو سودت وجهك بالمداد

هذا وإني أنصح طلاب العلم بكتاب القراءات وأثرها في التفسير والأحكام لفضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عمر بن سالم بازمول فقد أجاد وأفاد -حفظه الله-.

أعود للتفصيل فأقول: إن الواجب على المرء قبل كل شيء تعلم أمور التوحيد والعقيدة، والضروري من أركان الإيمان الستة، وواجبات الإسلام الخمسة، وما يحتاجه في حياته، ومن الواجبات حفظ ما تصح به صلاته، وما أشكل عليه من أمور دينه فليسأل عنه أهل العلم قال ربي:{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}.[سُورَةُ النَّحْلِ: ٤٣]. فكما بينا آنفا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ تقديم العلم العيني كَعِلْمِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فَهذا مُقَدَّمٌ عَلَى حِفْظِ مَا لَا يَجِبُ مِن الْقُرْآنِ، فَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ الْأَوَّلِ وَاجِبٌ، فإن تعلم كل ما يجب عليه، فله أن يتعلم ما وراء ذلك، من فروض الكفاية، والمستحبات المشروعة. وأما أن ينشغل في علم القراءات وهو لا يحسن أمور دينه من الواجبات، ولا يدري الحلال من الحرام فلا يجوز له ذلك. والذي ينبغي على طالب العلم ألا يفني عمره في طلب الروايات بحيث يهمل العلوم الأخرى، فإذا رغب الطالب في القراءات فعليه الاكتفاء بالقراءات العشر.

وعلمُ القراءات من العلوم التي يجب على الأمة أن تحفظها؛ لأنه متعلق بكلام الله - عز وجل-، والقراءات المتواترة هي من جملة ما تكلم الله به سبحانه، فكيف يكون الاشتغال به لا قيمة له؟!.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (أَمَّا الْعِلْمُ الَّذِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ عَيْنًا كَعِلْمِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَمَا نَهَى اللهُ عَنْهُ فَهُوَ مُقَدَّمٌ عَلَى حِفْظِ مَا لَا يَجِبُ مِن الْقُرْآنِ، فَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ الْأَوَّلِ وَاجِبٌ، وَطَلَبَ الثَّانِي مُسْتَحَبٌّ، وَالْوَاجِبُ مُقَدَّمٌ عَلَى الْمُسْتَحَبِّ.

وَأَمَّا طَلَبُ حِفْظِ الْقُرْآنِ: فَهُوَ مُقَدَّمٌ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا تُسَمِّيهِ النَّاسُ عِلْمًا: وَهُوَ إمَّا بَاطِلٌ أَوْ قَلِيلُ النَّفْعِ. وَهُوَ أَيْضًا مُقَدَّمٌ فِي التَّعَلُّمِ فِي حَقِّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَتَعَلَّمَ عِلْمَ الدِّينِ مِن الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ، فَإِنَّ الْمَشْرُوعَ فِي حَقِّ مِثْلِ هَذَا فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ أَنْ يَبْدَأَ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ أَصْلُ عُلُومِ الدِّينِ بِخِلَافِ مَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ مِن الْأَعَاجِمِ وَغَيْرِهِمْ، حَيْثُ يَشْتَغِلُ أَحَدُهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْعِلْمِ مِن الْكَلَامِ، أَوْ الْجِدَالِ وَالْخِلَافِ أَوْ الْفُرُوعِ النَّادِرَةِ أَوْ التَّقْلِيدِ الَّذِي لَا يُحْتَاجُ إلَيْهِ، أَوْ غَرَائِبِ الْحَدِيثِ الَّتِي لَا تَثْبُتُ وَلَا يُنْتَفَعُ بِهَا، وَكَثِيرٍ مِن الرِّيَاضِيَّاتِ الَّتِي لَا تَقُومُ عَلَيْهَا حُجَّةٌ، وَيَتْرُكُ حِفْظَ الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ أَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَلَا بُدَّ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِن التَّفْصِيلِ. وَالْمَطْلُوبُ مِن الْقُرْآنِ هُوَ فَهْمُ مَعَانِيهِ، وَالْعَمَلُ بِهِ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ هِمَّةَ حَافِظِهِ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ)[1].

١ مجموع الفتاوى:٢٣/٥٤.

وقال ابن الجوزي : (اعلم أنه لو اتسع العمر لم أمنع من الإيغال في كل علم إلى منتهاه، غير أن العمر قصير، والعلم كثير، فينبغي للإنسان أن يقتصر من القراءات إذا حفظ القرآن على العشر)[1].

وليحذر طالب العلم الاهتمام الزائد بالقراءات والغلو فيها حتى يؤدي ذلك إلى التفريط في الفرائض والواجبات، قال ابن الجوزي – رحمه الله-: (فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقراءات الشاذة وتحصيلها، فيُفني أكثر عمره في جمعها وتصنيفها والإقراء بها، ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات، فربما رأيت إمام مسجد تصدر للإقراء ولا يعرف ما يفسد الصلاة)[2].
وقال رحمه الله: (قد ثبت بالدليل شرف العلم وفضله، إلا أن طلاب العلم افترقوا، فكل تدعوه نفسه إلى شيء، فمنهم من أذهب عمره في القراءات، وذاك تفريط في العلم؛ لأنه إنما ينبغي أن يعتمد على المشهور منها لا على الشاذ، وما أقبح القارىء يسأل عن مسألة الفقه وهو لا يدري، وليس ما شغله عن ذلك إلا كثرة الطرق في روايات القراءات)[3].

---

١ صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. دار القلم - دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص٤٤١-٤٤٢.
٢ تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، (٢/٦٦٥).
٣ صيد الخاطر، ص٣٢٢.

إن من الدلالات الواضحات، والبراهين الكاشفات على أهمية علم القراءات ما يأتي:

١. عناية السلف الربانيين -من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان، رحمهم الله تعالى - بكتاب الله أيما اعتناء، واهتمامهم بجمعه في الصدور، وفي السطور، منذ عهد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، بلكَانَ جِبْرِيلُ – عليه السلام-يَعْرِضُ الْقُرْآنَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كُلَّ سَنَةٍ، فقد صحعن مَسْرُوق عَنْ عَائِشَةَ عَنْ فَاطِمَةَ –رضي الله عنهم - أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وقال ابْن عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: «كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؛ لِأَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِن الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»[١].

٢. اهتمام الصحابة -رضي الله عنهم- بحفظ القرآن وكتابته وجمعه بجميع رواياته وقراءاته كما أنزل،بل نجدهم على

---

١ أخرجه البخاري،كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب كَانَ جِبْرِيلُ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،٤٩٩٧.

دراية كبيرة بكتاب الله من حيث حفظ حروفه ومعانيه وأسباب نزوله، فقد كان للنبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حفاظ عنه يحفظون كتاب الله - عز وجل-، وكتاب يكتبون عنه ما يوحى إليه.

قال ابن تيمة: (إِنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَقَّوْا عَنْهُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِتَبْلِيغِهِ إلَيْهِمْ مِنْ الْقُرْآنِ لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ جَمِيعًا كَمَا قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِي - وَهُوَ الَّذِي رَوَى عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: « { خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ } » كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ وَكَانَ يُقْرِئُ الْقُرْآنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. قَالَ - حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِئُونَنَا عُثْمَانُ بْنُ عفان وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُمَا: أَنَّهُمْ كَانُوا إذَا تَعَلَّمُوا مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهَا حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنْ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. قَالُوا: فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا. وَلِهَذَا دَخَلَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: « { خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ } » تَعْلِيمُ حُرُوفِهِ وَمَعَانِيهِ جَمِيعًا؛ بَلْ تَعَلُّمُ مَعَانِيهِ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَوَّلُ بِتَعْلِيمِ حُرُوفِهِ وَذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَزِيدُ الْإِيمَانَ).

قال ابن تيمية: (وَالِاعْتِمَادُ فِي نَقْلِ الْقُرْآنِ عَلَى حِفْظِ الْقُلُوبِ لَا عَلَى الْمَصَاحِفِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: « { إنَّ رَبِّي قَالَ لِي أَنْ قُمْ فِي قُرَيْشٍ فَأَنْذِرْهُمْ. فَقُلْت: أَيْ رَبِّ إذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي - أَيْ: يَشْدَخُوا - فَقَالَ: إنِّي مُبْتَلِيك وَمُبْتَلٍ بِك وَمُنْزِلٌ عَلَيْك كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرَؤُهُ نَائِمًا ويقظانا فَابْعَثْ جُنْدًا أَبْعَثْ مِثْلَيْهِمْ وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَك مَنْ عَصَاك وَأَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْك } » فَأَخْبَرَ أَنَّ كِتَابَهُ لَا يَحْتَاجُ فِي حِفْظِهِ إلَى صَحِيفَةٍ تُغْسَلُ بِالْمَاءِ؛ بَلْ يَقْرَؤُهُ فِي كُلِّ حَالٍ كَمَا جَاءَ فِي نَعْتِ أُمَّتِهِ: « أَنَاجِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ » بِخِلَافِ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ لَا يَحْفَظُونَهُ إلَّا فِي الْكُتُبِ وَلَا يَقْرَءُونَهُ كُلَّهُ إلَّا نَظَرًا لَا عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ) ومن الصحابة الذين اهتموا بالقرآن العظيم الخلفاء الأربعة:أبو بكر الصديق – رضي الله عنه - وهو أول من جمع القرآن في مصحف، وأم الناس في حياة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فعَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: «أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي، فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِن الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؟ قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ، لَا نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَتَتَبَّع الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، فَوَاللهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِن الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ؟ قَالَ: هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِن الْعُسُبِ، وَاللِّخَافِ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ:{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَت الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-»[1].

---

١ أخرجه البخاري،كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب جَمْعِ الْقُرْآنِ،٤٩٨٦.

ومن الصحابة أيضا عمر بن الخطاب، قال أبو العالية الرياحي: قرأت القرآن على عمر أربع مرات.[1]

ومن الصحابة الذين اهتموا بالقرآن العظيم أيضا عثمان بن عفان، وعلي ابن أبي طالب، وسالم بن مَعْقِل مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وسعد بن أبي وقاص[2]، وأبو زيد قيس بن السكن، وأبو الدرداء، ومعاذ بن جبل،وأبو هريرة،وابن عباس، وأبو موسى الأشعري، وأنس بن مالك وعبد الله بن السائب وعائشة، وحفصة، وأم سلمة وغيرهم من الصحابة الكرام – رضي الله عنهم-، ومن التابعين أبو جعفر المدني يَزِيدُ بنُ القَعْقَاعِ، وعَبْدُ الرَّحْمَنِ الأَعْرَجُ ومجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعَطَاءٌ بن يسار، وابن أبي رباح، والحسن بن أبي الحسن البصري، وعَلْقَمَةُ بن قيس، والأَسْوَدُ ابن يزيد النخعي، وزِرُّ بنُ حُبَيْشٍ، ومسروق ابن الأجدع، وعبيدة ابن عمر السلماني،وعكرمة مولى ابن عباس، وعبد الله بن حبيب: أبو عبد الرحمن

١ ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير. تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م، ٤/١٤٥، والإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ: ٤/٥٨٨، وغاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف. مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ: ١/٥٩١.

٢ ينظر أسدالغابة: ٢/ ٣٦٦، وغاية النهاية: ١/ ٣٠٤.

السلمي، وغيرهم من الأبرار -رحم الله الجميع-.

قال الزمزمي[1]:

عَلِيٌّ، عُثْمانُ، أُبِيٌّ، زَيْدُ	ولابنِ مَسعُودٍ بِهذا سَعْدُ
كذا أَبُو زَيْدٍ، أَبو الدَّرْدا كَذَا	مُعاذٌ بنُ جَبَلٍ، وأَخَذَا
عَنْهُمْ أَبُو هُرَيْرَةٍ مَعَ ابْنِ	عَبَّاسٍ، ابنُ سَائِبٍ، والمَعْنِي
بِذَيْنِ عَبْدُ اللهِ ثُمَّ مَنْ شُهِرْ	مِنْ تَابِعِيٍّ فالَّذِي مِنْهُمْ ذُكِرْ
يَزِيْدُ أَيْ مَنْ أَبُهُ القَعْقَاعُ	والأَعْرَجُ بنُ هُرْمُزٍ قَدْ شَاعُوا
مُجَاهِدٌ، عَطَا، سَعِيْدٌ، عِكْرِمَةْ	والحَسَنُ، الأَسْوَدُ، زِرٌّ، عَلْقَمَةْ
كذاكَ مَسْرُوقٌ، كذا عَبِيْدَةْ	رُجُوعُ سَبْعةٍ لَهُمْ لا بُدَّهْ

قال ابن الجزري: (وقد ذكر الإمام أبو عبيد القاسم بن سلامه في أول كتابه في القراءات من نقل عنهم شيء من وجوه القراءة من الصحابة وغيرهم. فذكر من الصحابة أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليا، وطلحة، وسعداً، وابن مسعود، وحذيفة، وسالماً، وأبا هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله، ومعاوية، وابن الزبير، وعبد الله بن السائب، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة: وهؤلاء كلهم من المهاجرين وذكر من الأنصار أبي بن كعب، ومعاذ ابن جبل، وأبا الدرداء، وزيد بن ثابت، وأبا زيد، ومجمع بن جارية، وأنس ابن مالك رضي الله

١ منظومة الزمزمي في التفسير، عبد العزيز الزمزمي، ص٦، د.ت.

عنهم أجمعين)[١].

ولكن قد يعترض معارض ويقول: هذا غير صحيح؛ إن الذي حفظ القرآن من الصحابة أربعة فقط؛ لقول النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ»[٢].

الجواب عن هذا الاعتراض هو ما قاله الحافظ ابن حجر -رحمه الله-، قال ابن حجر: (قوله: «خذوا القرآن من أربعة» أي: تعلموه منهما، والأربعة المذكورون اثنان من المهاجرين، وهما المبدأ بهما، واثنان من الأنصار، وسالم هو ابن معقل مولى أبي حذيفة، ومعاذ هو ابن جبل. وقد تقدم هذا الحديث في مناقب سالم مولى أبي حذيفة من هذا الوجه وفي أوله «ذكر عبد الله بن مسعود عند عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعدما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: خذوا القرآن من أربعة فبدأ به» فذكر حديث الباب. ويستفاد منه محبة من يكون ماهرا في القرآن، وأن البداءة بالرجل في الذكر على غيره في أمر اشترك فيه مع غيره يدل على تقدمه فيه،......ثم قال الحافظ-

١ النشر: ١/١٤.

٢ أخرجه البخاري،كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب الْقُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -٤٩٩٩.

رحمه الله-: وقال الكرماني: يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم أراد الإعلام بما يكون بعده، أي: أن هؤلاء الأربعة يبقون حتى ينفردوا بذلك، وتعقب بأنهم لم ينفردوا، بل الذين مهروا في تجويد القرآن بعد العصر النبوي أضعاف المذكورين، وقد قتل سالم مولى أبي حذيفة بعد النبي صلى الله عليه وسلم في وقعة اليمامة، ومات معاذ في خلافة عمر، ومات أبي وابن مسعود في خلافة عثمان، وقد تأخر زيد بن ثابت وانتهت إليه الرياسة في القراءة وعاش بعدهم زمانا طويلا، فالظاهر أنه أمر بالأخذ عنهم في الوقت الذي صدر فيه ذلك القول، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن، بل كان الذين يحفظون مثل الذين حفظوه وأزيد منهم جماعة من الصحابة، وقد تقدم في غزوة بئر معونة أن الذين قتلوا بها من الصحابة كان يقال لهم القراء وكانوا سبعين رجلا......ثم قال الحافظ- رحمه الله-: قوله: «سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار» في رواية الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في أول الحديث: «افتخر الحيان الأوس والخزرج، فقال الأوس: منا أربعة: من اهتز له العرش سعد بن معاذ، ومن عدلت شهادته شهادة رجلين خزيمة ابن ثابت، ومن غسلته الملائكة حنظلة بن أبي عامر، ومن

حمته الدبر عاصم بن ثابت. فقال الخزرج: منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم. فذكرهم......... ثم قال الحافظ- رحمه الله-: وجوزت هناك أن لا يكون لقول أنس «أربعة» مفهوم، لكن رواية سعيد التي ذكرتها الآن من عند الطبري صريحة في الحصر، وسعيد ثبت في قتادة. ويحتمل مع ذلك أن مراد أنس «لم يجمعه غيرهم» أي: من الأوس بقرينة المفاخرة المذكورة، ولم يرد نفي ذلك عن المهاجرين، ثم في رواية سعيد أن ذلك من قول الخزرج، ولم يفصح باسم قائل ذلك، لكن لما أورده أنس ولم يتعقبه كان كأنه قائل به ولا سيما وهو من الخزرج. وقد أجاب القاضي أبو بكر الباقلاني وغيره عن حديث أنس هذا بأجوبة: أحدها: أنه لا مفهوم له، فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه.

ثانيها: المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التي نزل بها إلا أولئك.

ثالثها: لم يجمع ما نسخ منه بعد تلاوته وما لم ينسخ إلا أولئك، وهو قريب من الثاني.

رابعها: أن المراد بجمعه تلقيه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بواسطة، بخلاف غيرهم فيحتمل أن يكون تلقى بعضه بالواسطة.

خامسها: أنهم تصدوا لإلقائه وتعليمه فاشتهروا به، وخفي حال غيرهم عمن عرف حالهم فحصر ذلك فيهم بحسب علمه، وليس الأمر في نفس الأمر كذلك، أو يكون السبب في خفائهم أنهم خافوا غائلة الرياء والعجب، وأمن ذلك من أظهره.

سادسها: المراد بالجمع الكتابة، فلا ينفي أن يكون غيرهم جمعه حفظا عن ظهر قلب، وأما هؤلاء فجمعوه كتابة، وحفظوه عن ظهر قلب.

سابعها: المراد أن أحدا لم يفصح بأنه جمعه بمعنى أكمل حفظه في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إلا أولئك، بخلاف غيرهم فلم يفصح بذلك؛ لأن أحدا منهم لم يكمله إلا عند وفاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين نزلت آخر آية منه، فلعل هذه الآية الأخيرة وما أشبهها ما حضرها إلا أولئك الأربعة ممن جمع جميع القرآن قبلها، وإن كان قد حضرها من لم يجمع غيرها الجمع البين.

ثامنها: أن المراد بجمعه السمع والطاعة له والعمل بموجبه. وقد أخرج أحمد في الزهد من طريق أبي الزاهرية «أن رجلا أتى أبا الدرداء فقال: إن ابني جمع القرآن، فقال: اللهم غفرا، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع»

وفي غالب هذه الاحتمالات تكلف ولا سيما الأخير وقد أومأت قبل هذا إلى احتمال آخر، وهو أن المراد إثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط، فلا ينفي ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين ومن جاء بعدهم، ويحتمل أن يقال: إنما اقتصر عليهم أنس لتعلق غرضه بهم، ولا يخفى بعده. والذي يظهر من كثير من الأحاديث أن أبا بكر كان يحفظ القرآن في حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقد تقدم في المبعث أنه بنى مسجدا بفناء داره فكان يقرأ فيه القرآن، وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذاك، وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدة حرص أبي بكر على تلقي القرآن من النبي - صلى الله عليه وسلم- وفراغ باله له وهما بمكة وكثرة ملازمة منهما للآخر حتى قالت عائشة كما تقدم في الهجرة أنه - صلى الله عليه وسلم- كان يأتيهم بكرة وعشية. وقد صحح مسلم حديث: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله» وتقدمت الإشارة إليه، وتقدم أنه -صلى الله عليه وسلم- أمر أبا بكر أن يؤم في مكانه لما مرض فيدل على أنه كان أقرأهم، وتقدم عن علي أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي -صلى الله عليه وسلم-. وأخرج النسائي بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر قال: «جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اقرأه في شهر» الحديث، وأصله في

الصحيح وتقدم في الحديث الذي مضى ذكر ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وكل هؤلاء من المهاجرين، وقد ذكر أبو عبيد القراء من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم -فعد من المهاجرين الخلفاء الأربعة وطلحة وسعدا وابن مسعود وحذيفة وسالما وأبا هريرة وعبد الله بن السائب والعبادلة، ومن النساء عائشة وحفصة وأم سلمة، ولكن بعض هؤلاء إنما أكمله بعد النبي صلى الله عليه وسلم فلا يرد على الحصر المذكور في حديث أنس، وعد ابن أبي داود في «كتاب الشريعة» من المهاجرين أيضا تميم بن أوس الداري وعقبة بن عامر» ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومعاذا الذي يكنى أبا حليمة ومجمع بن حارثة وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد وغيرهم، وصرح بأن بعضهم إنما جمعه بعد النبي - صلى الله عليه وسلم-، وممن جمعه أيضا أبو موسى الأشعري ذكره أبو عمرو الداني، وعد بعض المتأخرين من القراء عمرو بن العاص وسعد بن عباد وأم ورقة. قوله: «تابعه الفضل بن موسى عن حسين بن واقد عن ثمامة عن أنس» هذا التعليق وصله إسحاق بن راهويه في مسنده عن الفضل بن موسى به، ثم أخرجه المصنف من طريق عبد الله بن المثنى «حدثني ثابت البناني وثمامة عن أنس قال مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة» فذكر الحديث، فخالف رواية قتادة من

وجهين: أحدهما: التصريح بصيغة الحصر في الأربعة، ثانيهما: ذكر أبي الدرداء بدل أبي بن كعب. فأما الأول فقد تقدم الجواب عنه من عدة أوجه، وقد استنكره جماعة من الأئمة. قال المازري: لا يلزم من قول أنس لم يجمعه غيرهم أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك؛ لأن التقدير أن لا يعلم أن سواهم جمعه، وإلا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم في البلاد، وهذا لا يتم إلا إن كان لقي كل واحد منهم على انفراده وأخبره عن نفسه أنه لم يكمل له جمع القرآن في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذا في غاية البعد في العادة، وإذا كان المرجع إلى طخا ما في علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك. قال: وقد تمسك بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة، ولا متمسك لهم فيه، فإنا لا نسلم حمله على ظاهره. سلمناه، ولكن من أين لهم أن الواقع في نفس الأمر كذلك؟ سلمناه، لكن لا يلزم من كون كل واحد من الجم الغفير لم يحفظه كله أن لا يكون حفظ مجموعه الجم الغفير، وليس من شرط التواتر أن يحفظ كل فرد جميعه، بل إذا حفظ الكل الكل ولو على التوزيع كفى، واستدل القرطبي على ذلك ببعض ما تقدم من أنه قتل يوم اليمامة سبعون من القراء، وقتل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ببئر معونة مثل هذا العدد، قال: وإنما خص أنس الأربعة بالذكر لشدة

تعلقه بهم دون غيرهم، أو لكونهم كانوا في ذهنه دون غيرهم. وأما الوجه الثاني من المخالفة فقال الإسماعيلي: هذان الحديثان مختلفان، ولا يجوزان في الصحيح مع تباينهما، بلى الصحيح أحدهما. وجزم البيهقي بأن ذكر أبي الدرداء وهم والصواب أبي بن كعب.

وقال الداودي: لا أرى ذكر أبي الدرداء محفوظا. قلت: وقد أشار البخاري إلى عدم الترجيح إسرجيح باستواء الطرفين، فطريق قتادة على شرطه وقد وافقه عليها ثمامة في إحدى الروايتين عنه، وطريق ثابت أيضا على شرطه وقد وافقه عليها أيضا ثمامة في الرواية الأخرى، لكن مخرج الرواية عن ثابت وثمامة بموافقته، وقد وقع عن عبد الله بن المثنى وفيه مقال وإن كان عند البخاري مقبولا لكن لا تعادل روايته رواية قتادة، ويرجح رواية قتادة حديث عمر في ذكر أبي بن كعب وهو خاتمة أحاديث الباب، ولعل البخاري أشار بإخراجه إلى ذلك لتصريح عمر بترجيحه لا القراءة على غيره، ويحتمل أن يكون أنس حدث بهذا الحديث في وقتين فذكره مرة أبي بن كعب ومرة بدله أبا الدرداء، وقد روى ابن أبي داود من طريق محمد بن كعب القرظي قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبي بن

كعب وأبو الدرداء وأبو أيوب الأنصاري» وإسناده حسن مع إرساله، وهو شاهد جيد لحديث عبد الله بن المثنى في ذكر أبي الدرداء وإن خالفه في العدد والمعدود، ومن طريق الشعبي قال: «جمع القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة منهم أبو الدرداء ومعاذ وأبو زيد وزيد بن ثابت، وهؤلاء الأربعة هم الذين ذكروا في رواية عبد الله بن المثنى، وإسناده صحيح مع إرساله. فلله در البخاري ما أكثر اطلاعه. وقد تبين بهذه الرواية المرسلة قوة رواية عبد الله بن المثنى وأن لروايته أصلا والله أعلم. وقال الكرماني: لعل السامع كان يعتقد أن هؤلاء الأربعة لم يجمعوا وكان أبو الدرداء ممن جمع فقال أنس ذلك ردا عليه، وأتى بصيغة الحصر ادعاء ومبالغة، ولا يلزم منه النفي عن غيرهم بطريق الحقيقة والله أعلم)[1].

٣. إن علم القراءات لم يهتم بكيفية النطق وبيان فرش الحروف فقط، كما يظن بعض من لا علم له بها، بل صور الاهتمام تنوعت كما سنبينه فيما بعد.

٤. إن القراءات من الطرائق لفهم آي القرآن، وبيان الأحكام، وشرح الأدلة، وإزالة الشبه.

---

١ فتح الباري لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)،تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، دار الفكر:٩/٤٧.

٥. إن علم القراءات يحتاج إليه المقرئ، والمفسر، والمحدث، والفقيه، واللغوي، وهو علم متداخل مع علم التوحيد والعقيدة، وعلم أسباب النزول، وعلم الفواصل، وعلم فضائل القرآن، والفقه، والتفسير، والحديث، واللغة، وأصول الفقه، وعلم النحو والإعراب،والبلاغة. قال السيوطي: (فإن العلم بحر زخار، لا يدرك له من قرار، وطود شامخ لا يسلك إلى قننه[1]، ولا يصار من أراد السبيل إلى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك وصولا، ومن رام الوصول إلى إحصائه لم يجد إلى ذلك سبيلا، كيف وقد قال -تعالى- مخاطبا لخلقه: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً} وإن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء، وأبان فيه كل هدي وغي، فترى كل ذي فن منه يستمد، وعليه يعتمد، فالفقيه يستنبط منه الأحكام، ويستخرج حكم الحلال والحرام، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه. والبياني يهتدي به إلى حسن النظام، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام.

وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولي الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولوا الفكر والاعتبار، إلى

١ قننه: جمع قنة بالضم، وهى أعلى الجبل.

غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها، هذا مع فصاحة لفظ، وبلاغة أسلوب، تبهر العقول، وتسلب القلوب، وإعجاز نظم، لا يقدر عليه إلا علام الغيوب.)[١].

٦. إن المتأمل في كتب السلف يجد أنهم اهتموا بعلم القراءات، ويستشهدون بها في الأحكام، كما في كتب العقيدة، والتفسير، والفقه، والنحو واللغة، ومن ذلكم سيبويه في كتابه الكتاب. وغيره من علماء النحو واللغة كالمبرد، والفراء، فكتبهم مليئة بالشواهد القرآنية والقراءات.

وهذا سفيان الثوري -رحمه الله- نجده قد استشهد بالقراءات في تفسيره مرات عديدة[٢]، ومثله ابن فتيبة في كتاب غريب تفسير القرآن، وابن جرير الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وكذلك أبو جعفر النحاس في كتابه معاني القرآن الكريم، فقد اهتموا ببيان أثر القراءات في معاني الآيات.

وكما قلنا: إن علم القراءات قد اعتنى بعلم التوحيد ، ومن ذلكم - قوله تعالى-: { بل عجبتُ ويسخرون } بالضم،

---

١ الإتقان في علوم القرآن،١٦/١.

٢ ينظر القراءات وأثرها في التفسير والأحكام - محمد بازمول. جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، أطروحة دكتوراه: ص١٧٩.

وهي قراءة صحيحة متواترة، وهي قراءة حمزة، والكسائي.
قال ابن جرير الطبري – رحمه الله -: قوله: (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) اختلفت القرَّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرَّاء الكوفة: (بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ) بضم التاء من (عَجِبْتَ)، بمعنى: بل عظُم عندي، وكبر اتخاذهم لي شريكاً، وتكذيبهم تَنْزيلي، وهم يسخرون، وقرأ ذلك عامة قرَّاء المدينة، والبصرة، وبعض قرَّاء الكوفة (عَجِبْتَ) بفتح التاء، بمعنى: بل عجبتَ أنت يا محمد، ويسخرون من هذا القرآن.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قرَّاء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ: فمصيب.

فإن قال قائل: وكيف يكون مصيباً القارئ بهما مع اختلاف معنييهما ؟! قيل: إنهما وإن اختلف معنياهما فكلّ واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجِب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسَخِر المشركونَ مما قالوه [1].

وقال الشنقيطي في أضواء البيان في قول الله -تعالى-: (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ): (قرأ هذا الحرف عامة القراء

١ تفسير الطبري: ٢١ / ٢٢، ٢٣.

السبعة غير حمزة والكسائي: عجبت بالتاء المفتوحة وهي تاء الخطاب، المخاطب بها النبي صلى الله عليه وسلم. وقرأ حمزة والكسائي: بل عجبت بضم التاء المتكلم، وهو الله جل وعلا.وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن القراءتين المختلفتين يحكم لهما بحكم الآيتين.

وبذلك تعلم أن هذه الآية الكريمة على قراءة حمزة والكسائي فيها إثبات العجب لله تعالى، فهي إذاً من آيات الصفات على هذه القراءة.

وقد أوضحنا طريق الحق التي هي مذهب السلف في آيات الصفاتن وأحاديثها في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: { ثُمَّ استوى عَلَى العرش }[الأعراف: ٥٤] فأغنى ذلك عن إعادته هنا)[1].

وقال أبو زرعة عبدالرحمن بن زنجلة في كتابه (حجة القراءات): قرأ حمزة والكسائي: بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ؛ بضم التاء، وقرأ الباقون بفتح التاء، ثم قال: قال أبو عبيد: قوله: بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ؛ بالنصب: بل عجِبت يا محمد من جهلهم وتكذيبهم وهم يسخرون منك، ومن قرأ: عَجِبْتُ؛ فهو إخبار عن الله - عَزَّ وجلَّ- اهـ.

---

١ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي. دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ: ٤٥٣/٦.

وقوله -تعالى-:{ذو العرش المجيد} قال ابن القيم: عند حديثه عن إقسام الله سبحانه بـ {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ}:(...، ثم وصف نفسه بالمجيد وهو المتضمن لكثرة صفات كماله وسعتها، وعدم إحصاء الخلق لها وسعة أفعاله، وكثرة خيره ودوامه، وأما من ليس له صفات كمال ولا أفعال حميدة فليس له من المجد شيء، والمخلوق إنما يصير مجيدا بأوصافه وأفعاله، فكيف يكون الرب تبارك وتعالى مجيدا، وهو معطل عن الأوصاف والأفعال تعالى الله عما يقول المعطلون علوا كبيرا، بل هو المجيد، الفعال لما يريد، والمجد في لغة العرب كثرة أوصاف الكمال،وكثرة أفعال الخير، وأحسن ما قرن اسم المجيد إلى الحميد، كما قالت الملائكة لبيت الخليل -عليه السلام-: {رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ} وكما شرع لنا في آخر الصلاة أن نثني على الرب تعالى بأنه حميد مجيد، وشرع في آخر الركعة عند الاعتدال أن نقول: ربنا ولك الحمد، أهل الثناء والمجد، فالحمد والمجد على الإطلاق لله الحميد المجيد، فالحميد الحبيب المستحق لجميع صفات الكمال، والمجيد العظيم، الواسع القادر الغني ذو الجلال والإكرام، ومن قرأ المجيد بالكسر فهو صفة لعرشه سبحانه، وإذا كان عرشه مجيدا فهو سبحانه أحق بالمجد، وقد استشكل هذه القراءة بعض الناس، وقال: لم يسمع في صفات الخلق مجيد، ثم

خرجها على أحد الوجهين: إما على الجوار، وإما أن يكون صفة لربك، وهذا من قلة بضاعة هذا القائل، فإن الله سبحانه وصف عرشه بالكرم، وهو نظير المجد، ووصفه بالعظمة فوصفه سبحانه بالمجد مطابق لوصفه بالعظمة والكرم، بل هو أحق المخلوقات أن يوصف بذلك لسعته وحسنه وبهاء منظره، فإنه أوسع كل شيء في المخلوقات وأجمله وأجمعه لصفات الحسن وبهاء المنظر وعلو القدر، والرتبة والذات، ولا يقدر قدر عظمته وحسنه وبهاء منظره إلا الله، ومجده مستفاد من مجد خالقه ومبدعه، والسماوات السبع والأرضون السبع في الكرسي الذي بين يديه كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والكرسي فيه كتلك الحلقة في الفلاة، قال ابن عباس: السماوات السبع في العرش كسبعة دراهم جعلن في ترس، فكيف لا يكون مجيدا، وهذا شأنه، فهو عظيم، كريم مجيد، وأما تكلف هذا المتكلف جره إلى الجوار، أو أنه صفة لربك، فتكلف شديد، وخروج عن المألوف في اللغة من غير حاجة إلى ذلك)[1].

ومن علماء الحديث أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد الذين اهتموا بذكر القراءات والقراء الإمام أحمد فقد أورد في مسنده نصوصا كثيرة متعلقة بالقراءات، ومن هذه

---

١ التبيان في أقسام القرآن لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،تحقيق: محمد حامد الفقي،، دار المعرفة، بيروت، لبنان:٩٤/١.

النصوص ما رواه عن أنس بن مالك - رضي الله عنه- أن رسول الله قرأها (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين) نصب النفس ورفع العين».

وكذلك الإمام البخاري في صحيحه، فقد ضمن كتابه الصحيح جملة من القراءات في كتبه وأبوابه، كما في كتاب التفسير، وفضائل القرآن، بل بوب - رحمه الله – بابا أسماه بَاب الْقُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وضمنه أحاديث عدة، تتحدث عن القراء والقراءات، ومن ذلكم حديث عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرٍو -رضي الله عنهما-وفيه يقول: سَمِعْتُ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَقُولُ:»خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ:مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ»[1].

وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-:» وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»[2]. وغيرهم من علماء السنة. بل إن الإمام أبا داود سمى كتابا بـــ (كتاب الحروف والقراءات) اشتمل على أكثر

١ أخرجه البخاري،كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب الْقُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -٤٩٩٩.

٢ أخرجه البخاري،كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب الْقُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ٥٠٠٢.

من ثلاثين حديثا.

٧. إن مما يدل على اهتمام السلف بالقراءات هو التصنيف والتأليف فيها إفرادا في كتب مستقلة، أو جمعا، وبعضهم استقلالا، وبعضهم استطرادا من حيث الاستشهاد والاستدلال والتوجيه والتوضيح والاختيار، بل توجد آلاف المخطوطات والمطبوعات في علم القراءات، ومن هؤلاء:أبو حاتم السجستاني، وحمزة الزيات، ويعقوب الحضرمي، وحفص الدوري، والبزي،وأبو عبيد القاسم بن سلام،، ويحيي بن يعمر، وأحمد بن جبير الكوفي، والقاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبريفي كتابه (الجامع)، وأبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي، وأبو عمرو بن العلاء، وابن خاقان، وأبو معشر الطبريصاحب كتاب (التلخيص في القراءات الثماني، و(سوق العروس) فيه ألف وخمسمائة وخمسون روايةً وطريقًا، والكسائي، ومكي ابن أبي طالب، وابنا غلبون، وأبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني، وابن مجاهد، والداني، والشاطبي، وابن مهران والحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي، مؤلف (الوجيز) و(الإيجاز) و(الإيضاح) و(الاتضاح) و(جامع المشهور والشاذ). ورحالة المغرب أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي صاحب (الكامل) جمع فيه خمسين قراءةً عن

الأئمة، وألفًا وأربعمائة وتسعة وخمسين روايةً وطريقًا، وأبو القاسم عيسى بن عبد العزيز الإسكندري، صاحب كتاب (الجامع الأكبر والبحر الأزخر)، وابن عبد البر وله كتاب الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو ابن العلاء، قال عنه تلميذه الحُميدي: «أبو عمر فقيه مكثر، عالِمٌ بالقراءات، وبالخلاف في الفقه، وبعلوم الحديث والرجال، قديم السماع، كثير الشيوخ».

وقال عنه ابن تيمية: «من أعلم الناس بالآثار، والتمييز بين صحيحها وسقيمها».

وقال الذهبي: «الإمام العلامة حافظ المغرب، شيخ الإسلام ابن عبد البر»، وقال: «سادَ أهل الزمان بالحفظ والإتقان».

وقال ابن القيّم: «إمام السنة في زمانه»[1]. وابن الجوزي، قال عنه ابن الجزري: (الحافظ أبو الفرج بن الجوزي البكري شيخ العراق وإمام الآفاق، تلا بالعشر على أبي بكر محمد بن الحسين المزرقي)[2]، وكذلك أخذ القراءات العشر عن عبد الله بن منصور بن عمران بن ربيعة المعروف بابن الباقلاني أبو بكر الواسطي شيخ القراء

---

١ اجتماع الجيوش الإسلامية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق التجارية - الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ٢/ ١٤٣.

٢ غاية النهاية:١/ ٤٦٢.

ومسندهم بواسط في زمانه. وابن تيمية، وابن حجر، والدارقطني، والذهبي، وأبو حيان، وابن القيم[1]، ومجد الدين أبو البركات عبد السلام بن تيمية الحراني جد شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، وله أرجوزة في القراءات على نمط الشاطبية. وقد ذكر الذهبي في ترجمة أنَّه قرأ القراءات بمضمن كتاب المبهج، ثم قال: إنه صنف التصانيف واشتهر اسمه وبعد صيته وله أرجوزة في القراءات ومصنف في أصول الفقه وكتاب كبير في الأحكام معروف وشرح الهداية وغير ذلك) [2]. وقال الذهبي أيضا: (وَكَانَ يَدْرِي القِرَاءات، وَصَنَّفَ فِيْهَا أُرْجُوزَةً، تَلاَ عَلَيْهِ: الشَّيْخ القَيْرَوَانِيُّ) [3]، والحافظ المنذري وغيرهم كثير جدا -رحم الله الجميع- ومن رجع إلى تراجم العلماء لوجد عنايتهم بهذه العلم.

٨. إن ما نقرؤه اليوم، ونقرئ به من القراءات ما وصل إلينا إلا عن طريق الصحابة -رضي الله عنهم- وطريق التابعين -رحمهم الله تعالى-، وقد وصل إلينا غضا رطبا كما أنزل، لم يعتره تحريف ولا تبديل، وهذا دليل على

١ ينظر أعلام الموقعين وحادي الأرواح ومدارج السالكين وطريق الهجرتين وزاد المعاد، ومفتاح دار السعادة، وحادي الأرواح، والوابل الصيب، وجلاء الأفهام، وشفاء العليل، والتبيان في أقسام القرآن، وهداية الحيارى.

٢ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م: ٢/ ٦٥٢.

٣ سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، (٢٣/٢٩٢).

اهتمام السلف من الصحابة والتابعين بالقرآن بجميع رواياته وأوجهه الصحيحة المعتبرة.

٩. إن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أرشد الناس بأن يتعلموا القرآن ويعلموه بإحدى قراءاته أو رواياته الصحيحة فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ-: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»[1]. وقد تقدم بيان معنى:(سبعة أحرف) في المطلب الأول.

قال ابن عثيمين -رحمه الله-: (إن العبادات الواردة على وجوه متنوعة ينبغى للإنسان أن يعمل بها كلها، ومن ذلك أيضا: القراءات الواردة فى القرآن فإنه ينبغى للإنسان أن يتعلمها، وأن يقرأ أحيانا بهذه القراءة وأحيانا بهذه القراءة؛ لأن الكل وارد عن الرسول - عليه الصلاة والسلام وثابت عنه، فإذا لزمنا قراءة قارئ واحد أغفلنا بقية القراءات، وإذا فهمنا القراءات كلها وقرأنا بها ما استطعنا كان هذا أحسن، وأوفق وأشد فى اتباع السنَّة؛ حتى لا نَلزم طريقة واحدة، فالقراءات المعروفة السبع ينبغى لطالب العلم أن يتعلمها،لكن لا يقرأ بها عند العامة؛ لئلا يكون فى ذلك فتنة؛ فإن العامة إذا قرأ عليهم قارئ من كتاب الله ما لا يعرفون أنكروا عليه إنكارا شديدا، فلهذا لا ينبغى أن تقرأ بهذه القراءات عند

١ أخرجه البخاري كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، ٤٩٩٢.

العامة؛ لما فى ذلك من الفتنة، وهذا من أحد الأسباب التى جعلت أمير المؤمنين عثمان- رضى الله عنه- يوحد المصاحف على مصحف واحد، فإن الناس بدءوا يختلفون فى القراءات، وحصل بذلك فتنة، فرأى -رضى الله عنه- بتوفيق الله له وللأمة، والحمد لله أن يجمع الناس على مصحف واحد على لغة قريش، وهذا المصحف متضمن للقراءات السبع لا تخرج عنه)[١].

١٠. وصف خيرية العباد بمن علم القرآن وعلمه قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ-:» خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ«[٢]. بل حث رسولنا ونبينا وأمر العباد أن يأخذوا القرآن عن متقنيه وحفاظه فقال: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَسَالِمٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ»[٣].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه- أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ -رضي الله عنهما- بَشَّرَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ»[٤].

١ فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، محمد بن صالح العثيمين. تحقيق وتعليق: صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٧ م، ص٣٨٨.

٢ أخرجه البخاري، كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، ٥٠٢٧.

٣ أخرجه البخاري كتاب، بَاب الْقُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،٤٩٩٩.

٤ أخرجه ابن ماجه، كتاب بَاب فَضْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ١٣٨.

١١. حُزْن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على موت القراء فعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «قَنَتَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَهْرًا حِينَ قُتِلَ الْقُرَّاءُ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَزِنَ حُزْنًا قَطُّ أَشَدَّ مِنْهُ»[١].

١٢. إنّ من كان أكثر حفظا للقرآن الكريم وأكثر زيادة من غيره وبخاصة العامل به، والمدرك لمعانيه وأحكامه، والعارف لمَا يحتاج إليه من الفقه، مقدَّمٌ على غيره، وقد بوب ابن حبان في صحيحه هذا الباب فقال: ذكر استحقاق الإمامة بالازدياد من حفظ القرآن على القوم، وإن كان فيهم من هو أحسب وأشرف منه، وعَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو قِلَابَةَ: أَلَا تَلْقَاهُ فَتَسْأَلَهُ؟ قَالَ: فَلَقِيتُهُ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ:كُنَّا بِمَاءٍ مَمَرَّ النَّاسِ، وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا الرُّكْبَانُ فَنَسْأَلُهُمْ مَا لِلنَّاسِ مَا لِلنَّاسِ مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُونَ: يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ أَوْحَى إِلَيْهِ أَوْ أَوْحَى اللهُ بِكَذَا، فَكُنْتُ أَحْفَظُ ذَلِكَ الْكَلَامَ وَكَأَنَّمَا يُقَرُّ فِي صَدْرِي وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَلَوَّمُ بِإِسْلَامِهِم الْفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الْفَتْحِ بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلَامِهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: جِئْتُكُمْ وَاللهِ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَقًّا، فَقَالَ: «صَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا،

١ أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، بَاب مَنْ جَلَسَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ يُعْرَفُ فِيهِ الْحُزْنُ ١٣٠٠.

وَصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَت الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا، فَنَظَرُوا فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَكْثَرَ قُرْآنًا مِنِّي؛ لِمَا كُنْتُ أَتَلَقَّى مِن الرُّكْبَانِ، فَقَدَّمُونِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَنَا ابْنُ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ سِنِينَ، وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ كُنْتُ إِذَا سَجَدْتُ تَقَلَّصَتْ عَنِّي، فَقَالَت امْرَأَةٌ مِن الْحَيِّ: أَلَا تُغَطُّوا عَنَّا اسْتَ قَارِئِكُمْ، فَاشْتَرَوْا فَقَطَعُوا لِي قَمِيصًا، فَمَا فَرِحْتُ بِشَيْءٍ فَرَحِي بِذَلِكَ الْقَمِيصِ»[1].

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ - رضي الله عنه-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّة، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا، وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»[2].

قال ابن رجب: (وقد اختلف العلماء: هَلْ يقدم الأقرأ عَلَى الأفقه، أم الأفقه عَلَى الأقرأ ؟، فَقَالَتْ طائفة: يقدم الأفقه، وَهُوَ قَوْلِ عَطَاء والثوري ومالك والأوزاعي والشافعي وأبي ثور،وَقَالَ الليث: يؤمهم أفضلهم وخيرهم، ثُمَّ أقرؤهم، ثُمَّ أسنهم، وقالت طائفة: يقدم الأقرأ عَلَى الأفقه، وحكي عَن الأشعث بْن قيس وابن سيرين

١ أخرجه البخاري، كِتَاب الْمَغَازِي، بَاب مَقَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ زَمَنَ الْفَتْحِ، ٤٣٠٢.

٢ أخرجه مسلم،كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ بَاب مَنْ أَحَقُّ بِالْإِمَامَةِ، ٦٧٣.

والثوري وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي، حكاه عنهم ابن المنذر واختاره.

وما حكيناه عَن الثوري، حكاه أصحابه عَنْهُ فِي كتبهم المصنفة عَلَى مذهبه.

ونص أحمد عَلَى أَنَّهُ يقدم الأقرأ إذا كَانَ يعرف مَا يحتاج إليه الصلاة من الفقه، وكذلك قَالَ كثير من المحققين من أصحابه، وحكموا مذهبه عَلَى هَذَا الوجه. واستدل من قدم الأقرأ بما خرجه مُسْلِم فِي ((صحيحه)) من حَدِيْث أوس بْن ضَمْعَجٌ، عَن أَبِي مَسْعُود الأنصاري، عَن النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: ((يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا فِي القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا فِي السنة سواء فأقدمهم هجرة))، وفي رِوَايَة لمسلم: ((يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله وأقدمهم قراءة))، وخرجه الحَاكِم، وعنده: ((يؤم القوم أكثرهم قرآناً)) - وذكر الحَدِيْث، وخرج مُسْلِم - أَيْضاً - من حَدِيْث أَبِي نضرة، عَن أَبِي سَعِيد الْخُدرِيَّ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إذا كانوا ثَلاَثَة فليؤمهم أحدهم، وأحقهم بالإمامة أقرؤهم)).

وخرج البخاري فِي ((كتابه)) هَذَا من حَدِيْث عَمْرِو بْن سَلَمَة الجرمي، عَن أَبِيه، أن النَّبِيّ- صلى الله عليه وسلم

- قَالَ: ((إذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكثركم قرآناً))، وخرج - أَيْضاً - فِيهِ من حَدِيْث ابن عُمَر، قَالَ: لما قدم المهاجرون الأولون قَبْلَ مقدم النَّبِيّ- صلى الله عليه وسلم - كَانَ يؤمهم سَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حذيفة، وكان أكثرهم قرآناً.

وخرج الإمام أحمد من حَدِيْث أَبِي موسى الأشعري، عَن النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: ((يؤمكم أقرؤكم)).

وخرجه أبو داود وابن ماجه من حَدِيْث ابن عَبَّاس، عَن النَّبِيّ -صلى الله عليه وسلم-، قَالَ: ((ليؤمكم قراؤكم)).

وفي الباب أحاديث أخر.وقد تأول الشَّافِعِيّ وغيره هذه الأحاديث عَلَى أن النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - إنما خاطب أصحابه، وكان أكثرهم قرآناً أكثرهم فقهاً؛ فإن قراءتهم كَانَتْ علماً وعملاً بخلاف من بعدهم.

وأجيب عَن هَذَا بوجهين:

أحدهما: أن هَذَا خطاب عام للأمة كلهم، فلا يختص بالصحابة.

والثاني: أَنَّهُ فرق بَيْن الأقرأ والأعلم بالسنة، وقدم الأقرأ عَلِيهِ .

وأجاب الإمام أحمد عَن تقديم النَّبِيّ -صلى الله عليه وسلم- أَبَا بَكْر عَلَى أَبِي بْن كعب وغيره، بأنه أراد بذلك التنبيه عَلَى خلافته، فلهذا المعنى قدمه فِي الصلاة عَلَى النَّاس كلهم.

وقد منع بعضهم أن يكون أَبِي بْن كعب أقرأ من أَبِي بَكْر؛ لأن المراد بالأقرأ فِي الإمامة الأكثر قرآناً. وَقَالَ: كَانَ أبو بَكْر يقرأ القران كله، فلا مزية لأبي بْن كعب عَلِيهِ فِي ذَلِكَ، وامتاز أبو بَكْر بالعلم والفضل.

وهذه المسألة لأصحابنا فيها وجهان: إذا اجتمع قارئان، أحدهما أكثر قرآناً، والآخر أجود قراءةً، فهل يقدم الأكثر قرآناً عَلَى الأجود قراءة، أم بالعكس؟

وأكثر الأحاديث تدل ى اعتبار كثرة القرآن.

وإن اجتمع فقيهان قارئان، أحدهما أفقه، والآخر أجود قراءة، ففي أيهما يقدم وجهان - أَيْضاً.وقيل: إن المنصوص عَن أحمد، أَنَّهُ يقدم الأقرأ).[1]

وقال الحافظ: (وقوله في حديث أبي مسعود «أقرؤهم» قيل: المراد به الأفقه، وقيل: هو على ظاهره، وبحسب

١ فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي. مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م: ٦٣/٥.

ذلك اختلف الفقهاء. قال النووي: قال أصحابنا: الأفقه مقدم على الأقرأ، فإن الذي يحتاج إليه من القراءة مضبوط،والذي يحتاج إليه من الفقه غير مضبوط، فقد يعرض في الصلاة أمر لا يقدر على مراعاة الصلاة فيه إلا كامل الفقه، ولهذا قدم النبي - صلى الله عليه وسلم- أبا بكر في الصلاة على الباقين، مع أنه -صلى الله عليه وسلم- نص على أن غيره أقرأ منه، كأنه عنى حديث أقرؤكم أبَيّ. قال: وأجابوا عن الحديث بأن الأقرأ من الصحابة كان هو الأفقه. قلت: وهذا الجواب يلزم منه أن من نص النبي - صلى الله عليه وسلم- على أنه أقرأ من أبي بكر كان أفقه من أبي بكر فيفسد الاحتجاج بأن تقديم أبي بكر كان لأنه الأفقه. ثم قال النووي بعد ذلك: إن قوله في حديث أبي مسعود: «فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم في الهجرة » يدل على تقديم الأقرأ مطلقا انتهى. وهو واضح للمغايرة. وهذه الرواية أخرجها مسلم أيضا من وجه آخر عن إسماعيل بن رجاء، ولا يخفى أن محل تقديم الأقرأ إنما هو حيث يكون عارفا بما يتعين معرفته من أحوال الصلاة، فأما إذا كان جاهلا بذلك فلا يقدم اتفاقا، والسبب فيه أن أهل ذلك العصر كانوا يعرفون معاني القرآن؛ لكونهم أهل اللسان، فالأقرأ منهم، بل القارئ كان أفقه في الدين من

كثير من الفقهاء الذين جاءوا بعدهم.)[١].

١٣. إن تعلم القراءات وتعليمها الناس حفظ لكلام الله تعالى وعمل بتوجيهات النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- القائل: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»[٢]. والقائل: -صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيما صح عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[٣]. والقائل: - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (بلغوا عني..)

١٤. إن تعلم القراءات وتعليمها الناس تيسير على الأمة، وتخفيف عنها، فمن شق عليه حرف قرأ بالحرف الآخر؛ من أجل ذلك أنزل الله تعالى القرآن بأكثر من حرف، فإن فيهم الشيخ الكبير، والمرأة العجوز، فعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ– رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ قَالَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ

---

١ فتح الباري لابن حجر: ١٧٠/٢، وينظر شرح صحيح البخارى لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ٣٧٥/٣.

٢ أخرجه البخاري كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، ٤٩٩٢.

٣ أخرجه البخاري، كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، ٥٠٢٧.

أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا»[1].

وعنه أيضا -رضي الله عنه- قَالَ: «كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَآ فَحَسَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنَهُمَا فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنْ التَّكْذِيبِ وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَدْ غَشِيَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرَقًا فَقَالَ لِي يَا أُبَيُّ أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنْ اقْرَأْ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا فَقُلْتُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمُ

١ أخرجه مسلم، كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَاب بَيَانِ أَنَّ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ وَبَيَانِ مَعْنَاهُ،٨٢١.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

وعنه -رضي الله عنه- قَالَ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جِبْرِيلَ فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ! إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ، مِنْهُمْ الْعَجُوزُ وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ، وَالْغُلَامُ وَالْجَارِيَةُ، وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»[2].

قال ابن قتيبة: ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته، وما جرى اعتياده طفلًا وناشئًا وكهلًا؛ لأشد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه؛ ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان وقطع للعادة، فأنزل الله برحمته، ولطفه أن يجعل لهم متسعًا في اللغات، ومتصرفًا في الحركات كتيسيره عليه في الدين.

قال ابن الجزري في (طيبة النشر في القراءات العشر)[3]:

وَأَصْلُ الاخْتِلافِ أَنَّ رَبَّنَا ... أَنْزَلَهُ بِسَبْعَةٍ مُهَوِّنَا

١٥. إن تعدد القراءات القرآنية واختلافها لَا يَتَضَمَّنُ تَنَاقُضَ الْمَعْنَى وَتَضَادَّهُ، وتعددها له ثمرة جلية في

١ أخرجه البخاري، كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، ٥٠٢٧.

٢ أخرجه الترمذي، كتاب القراءات عن رسول الله صلى الله عليه و سلمباب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف،٢٩٤٤.وصححه الألباني.

٣ طيبة النشر، ص١.

علم الأحكام الشرعية، وبعضها يفسر بعضا، القراءات المختلفة تفسير لبعض القرآن كما في قراءة وقد تبين القراءة الأخرى معنى جديدا،ومن قرأ كتب التفسير التي اهتمت بذكر القراءات علم ذلك.

قال ابن تيمية: (وَلَا نِزَاعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْحُرُوفَ السَّبْعَةَ الَّتِي أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا لَا تَتَضَمَّنُ تَنَاقُضَ الْمَعْنَى وَتَضَادَّهُ،بَلْ قَدْ يَكُونُ مَعْنَاهَا مُتَّفِقًا أَوْ مُتَقَارِبًا كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: إنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ أَقْبِلْ وَهَلُمَّ وَتَعَالَ. وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَى أَحَدِهِمَا لَيْسَ هُوَ مَعْنَى الْآخَرِ؛ لَكِنْ كِلَا الْمَعْنَيَيْنِ حَقٌّ وَهَذَا اخْتِلَافُ تَنَوُّعٍ وَتَغَايُرٍ لَا اخْتِلَافُ تَضَادٍّ وَتَنَاقُضٍ، وَهَذَا كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا حَدِيثِ: « أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» إنْ قُلْت: غَفُورًا رَحِيمًا أَوْ قُلْت: عَزِيزًا حَكِيمًا فَاَللَّهُ كَذَلِكَ مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِآيَةِ عَذَابٍ أَوْ آيَةَ عَذَابٍ بِآيَةِ رَحْمَةٍ }. وَهَذَا كَمَا فِي الْقِرَاءَاتِ الْمَشْهُورَةِ (رَبَّنَا بَاعَدْ) (وَبَاعِدْ)، {إلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا}. و (إلَّا أَنْ يُخَافَا أَلَّا يُقِيمَا) (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ). (وَلِيَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) و (بَلْ عَجِبْتَ). (وَبَلْ عَجِبْتُ) وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَمِنْ الْقِرَاءَاتِ مَا يَكُونُ الْمَعْنَى فِيهَا مُتَّفِقًا مِنْ وَجْهٍ مُتَبَايِنًا مِنْ وَجْهٍ كَقَوْلِهِ: (يَخْدَعُونَ وَيُخَادِعُونَ) وَيَكْذِبُونَ وَيُكَذِّبُونَ (وَلَمَسْتُمْ وَلَامَسْتُمْ) و (حَتَّى يَطْهُرْنَ) (وَيَطَّهَّرْنَ)

وَنَحْوِ ذَلِكَ فَهَذِهِ الْقِرَاءَاتُ الَّتِي يَتَغَايَرُ فِيهَا الْمَعْنَى كُلُّهَا حَقٌّ وَكُلُّ قِرَاءَةٍ مِنْهَا مَعَ الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى بِمَنْزِلَةِ الْآيَةِ مَعَ الْآيَةِ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا كُلِّهَا وَاتِّبَاعُ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ الْمَعْنَى عِلْمًا وَعَمَلًا لَا يَجُوزُ تَرْكُ مُوجِبِ إحْدَاهُمَا لِأَجْلِ الْأُخْرَى ظَنًّا أَنَّ ذَلِكَ تَعَارُضٌ بَلْ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ كَفَرَ بِحَرْفِ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ. وَأَمَّا مَا اتَّحَدَ لَفْظُهُ وَمَعْنَاهُ وَإِنَّمَا يَتَنَوَّعُ صِفَةُ النُّطْقِ بِهِ كَالْهَمَزَاتِ وَالْمَدَّاتِ وَالْإِمَالَاتِ وَنَقْلِ الْحَرَكَاتِ وَالْإِظْهَارِ وَالْإِدْغَامِ وَالِاخْتِلَاسِ وَتَرْقِيقِ اللَّامَاتِ وَالرَّاءَاتِ: أَوْ تَغْلِيظِهَا وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يُسَمَّى الْقِرَاءَاتِ الْأُصُولَ فَهَذَا أَظْهَرُ وَأَبْيَنُ فِي أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ وَلَا تَضَادٌّ مِمَّا تَنَوَّعَ فِيهِ اللَّفْظُ أَوْ الْمَعْنَى؛ إذْ هَذِهِ الصِّفَاتُ الْمُتَنَوِّعَةُ فِي أَدَاءِ اللَّفْظِ لَا تُخْرِجُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَفْظًا وَاحِدًا وَلَا يُعَدُّ ذَلِكَ فِيمَا اخْتَلَفَ لَفْظُهُ وَاتَّحَدَ مَعْنَاهُ أَوْ اخْتَلَفَ مَعْنَاهُ مِنْ الْمُتَرَادِفِ وَنَحْوِهِ وَلِهَذَا كَانَ دُخُولُ هَذَا فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْ الْحُرُوفِ السَّبْعَةِ الَّتِي أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا مِنْ أَوْلَى مَا يَتَنَوَّعُ فِيهِ اللَّفْظُ أَوْ الْمَعْنَى وَإِنْ وَافَقَ رَسْمَ الْمُصْحَفِ وَهُوَ مَا يَخْتَلِفُ فِيهِ النَّقْطُ أَوْ الشَّكْلُ. وَلِذَلِكَ لَمْ يَتَنَازَعْ عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ الْمَتْبُوعِينَ مِنْ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ فِي أَنَّهُ لَا يَتَعَيَّنُ أَنْ يَقْرَأَ بِهَذِهِ الْقِرَاءَاتِ الْمُعَيَّنَةِ فِي جَمِيعِ أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ؛ بَلْ مَنْ ثَبَتَ عِنْدَهُ قِرَاءَةُ الْأَعْمَشِ شَيْخِ حَمْزَةَ أَوْ قِرَاءَةُ يَعْقُوبَ بْنِ إسْحَاقَ الْحَضْرَمِيِّ وَنَحْوِهِمَا كَمَا ثَبَتَ عِنْدَهُ

قِرَاءَةُ حَمْزَةَ وَالْكِسَائِيِّ فَلَهُ أَنْ يَقْرَأَ بِهَا بِلَا نِزَاعٍ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ الْمُعْتَبَرِينَ الْمَعْدُودِينَ مِنْ أَهْلِ الْإِجْمَاعِ وَالْخِلَافِ؛ بَلْ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا قِرَاءَةَ حَمْزَةَ كَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَأَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وَبِشْرِ بْنِ الْحَارِثِ وَغَيْرِهِمْ يَخْتَارُونَ قِرَاءَةَ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الْقَعْقَاعِ وَشَيْبَةَ بْنِ نِصَاحِ الْمَدَنِيَّيْنِ وَقِرَاءَةَ الْبَصْرِيِّينَ كَشُيُوخِ يَعْقُوبَ بْنِ إسْحَاقَ وَغَيْرِهِمْ عَلَى قِرَاءِ حَمْزَةَ وَالْكِسَائِيِّ. وَلِلْعُلَمَاءِ الْأَئِمَّةِ فِي ذَلِكَ مِنْ الْكَلَامِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَئِمَّةُ أَهْلِ الْعِرَاقِ الَّذِينَ ثَبَتَتْ عِنْدَهُمْ قِرَاءَاتُ الْعَشَرَةِ أَوْ الْأَحَدَ عَشَرَ كَثُبُوتِ هَذِهِ السَّبْعَةِ يَجْمَعُونَ ذَلِكَ فِي الْكُتُبِ وَيَقْرَءُونَهُ فِي الصَّلَاةِ وَخَارِجَ الصَّلَاةِ وَذَلِكَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ لَمْ يُنْكِرْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ. وَأَمَّا الَّذِي ذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَمَنْ نَقَلَ مِنْ كَلَامِهِ مِنْ الْإِنْكَارِ عَلَى ابْنِ شنبوذ الَّذِي كَانَ يَقْرَأُ بِالشَّوَاذِّ فِي الصَّلَاةِ فِي أَثْنَاءِ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ وَجَرَتْ لَهُ قِصَّةٌ مَشْهُورَةٌ فَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْقِرَاءَاتِ الشَّاذَّةِ الْخَارِجَةِ عَنْ الْمُصْحَفِ كَمَا سَنُبَيِّنُهُ. وَلَمْ يُنْكِرْ أَحَدٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ قِرَاءَةَ الْعَشَرَةِ وَلَكِنْ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِهَا أَوْ لَمْ تَثْبُتْ عِنْدَهُ كَمَنْ يَكُونُ فِي بَلَدٍ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ بِالْمَغْرِبِ أَوْ غَيْرِهِ وَلَمْ يَتَّصِلْ بِهِ بَعْضُ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَقْرَأَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ فَإِنَّ الْقِرَاءَةَ كَمَا قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ سُنَّةٌ يَأْخُذُهَا الْآخِرُ عَنْ الْأَوَّلِ كَمَا أَنَّ مَا ثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَنْوَاعِ الِاسْتِفْتَاحَاتِ فِي الصَّلَاةِ وَمِنْ أَنْوَاعِ صِفَةِ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ

وَصِفَةِ صَلَاةِ الْخَوْفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ كُلُّهُ حَسَنٌ يُشْرَعُ الْعَمَلُ بِهِ لِمَنْ عَلِمَهُ وَأَمَّا مَنْ عَلِمَ نَوْعًا وَلَمْ يَعْلَمْ غَيْرَهُ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَعْدِلَ عَمَّا عَلِمَهُ إلَى مَا لَمْ يَعْلَمْهُ وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُنْكِرَ عَلَى مَنْ عَلِمَ مَا لَمْ يَعْلَمْهُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَنْ يُخَالِفَهُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {لَا تَخْتَلِفُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا}.

وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ الشَّاذَّةُ الْخَارِجَةُ عَنْ رَسْمِ الْمُصْحَفِ الْعُثْمَانِيِّ مِثْلَ قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (وَاللَّيْلِ إذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إذَا تَجَلَّى وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى) كَمَا قَدْ ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحَيْنِ. وَمِثْلَ قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ (فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ) وَكَقِرَاءَتِهِ: (إنْ كَانَتْ إلَّا زَقْيَةً وَاحِدَةً) وَنَحْوِ ذَلِكَ. فَهَذِهِ إذَا ثَبَتَتْ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُقْرَأَ بِهَا فِي الصَّلَاةِ ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ لِلْعُلَمَاءِ هُمَا رِوَايَتَانِ مَشْهُورَتَانِ عَنْ الْإِمَامِ أَحْمَد وَرِوَايَتَانِ عَنْ مَالِكٍ. « إحْدَاهُمَا » يَجُوزُ ذَلِكَ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ كَانُوا يَقْرَءُونَ بِهَذِهِ الْحُرُوفِ فِي الصَّلَاةِ. « وَالثَّانِيَةُ » لَا يَجُوزُ ذَلِكَ وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ لَمْ تَثْبُتْ مُتَوَاتِرَةً عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ ثَبَتَتْ فَإِنَّهَا مَنْسُوخَةٌ بالعرضة الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي الصِّحَاحِ {عَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يُعَارِضُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقُرْآنِ

فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ عَارَضَهُ بِهِ مَرَّتَيْنِ والعرضة الْآخِرَةُ هِيَ قِرَاءَةُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَغَيْرِهِ } وَهِيَ الَّتِي أَمَرَ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ وَكَتَبَهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ فِي صُحُفٍ أُمِرَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بِكِتَابَتِهَا ثُمَّ أَمَرَ عُثْمَانُ فِي خِلَافَتِهِ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ وَإِرْسَالِهَا إلَى الْأَمْصَارِ وَجَمْعِ النَّاسِ عَلَيْهَا بِاتِّفَاقِ مِنْ الصَّحَابَةِ عَلِيٍّ وَغَيْرِهِ...).[1]

وقال الزركشي: (إن باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءات في ولامستم وكذلك جواز وطء الحائض عند الانقطاع وعدمه إلى الغسل على اختلافهم في حتى يطهرن)[2].

وقال ابن تيمية أيضا:(وَكُلُّ قِرَاءَةٍ مِنْهَا مَعَ الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى بِمَنْزِلَةِ الْآيَةِ مَعَ الْآيَةِ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا كُلِّهَا وَاتِّبَاعُ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ الْمَعْنَى عِلْمًا وَعَمَلًا لَا يَجُوزُ تَرْكُ مُوجِبِ إحْدَاهُمَا لِأَجْلِ الْأُخْرَى ظَنًّا أَنَّ ذَلِكَ تَعَارُضٌ بَلْ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ كَفَرَ بِحَرْفِ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ)[3].

١ مجموع الفتاوى:٤/٤١٥.

٢ البرهان:١/٣٢٦، وينظر الإتقان للسيوطي: ١/٢٧٨.

٣ مجموع الفتاوى: ١٣/٣٩١-٣٩٢.

١٦. إن علم القراءات حفظ اللغة العربية وأوجهها كلفظ البِيوت أو البُيوت والعِيون أو العُيون والإمالة والفتح والتحقيق والإبدال ونحو ذلك.

١٧. إن الذي يهتم بعلم القراءات بالتلاوة والعمل، - لا من يقرؤها ولا يعمل بها- يتحصل على الأجر والثواب العظيم، فليس من علم قراءتين، كمن علم قراءة، ومن قرأ حرفين كمن قرأ حرفا واحدا، وهلم جرا.فعن ابن مسعودٍ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»[١].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو- رضي الله عنها- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»[٢].

وَسُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى-عَنْ «جَمْعِ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ» هَلْ هُوَ سُنَّةٌ أَمْ بِدْعَةٌ ؟ وَهَلْ جُمِعَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمْ لَا

١ أخرجه الترمذي، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن، ١٠/٢٩. وصححه الألباني، صحيح الترمذي، ٦/٤١٠.

٢ أخرجه أبو داود،كتاب الوتر، باب اسْتِحْبَابِ التَّرْتِيلِ فِى الْقِرَاءَةِ، ١٤٦٤.

؟ وَهَلْ لِجَامِعِهَا مَزِيَّةُ ثَوَابٍ عَلَى مَنْ قَرَأَ بِرِوَايَةِ أَمْ لَا ؟.

فَأَجَابَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَمَّا نَفْسُ مَعْرِفَةِ الْقِرَاءَةِ وَحِفْظِهَا فَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ، يَأْخُذُهَا الْآخِرُ عَن الْأَوَّلِ، فَمَعْرِفَةُ الْقِرَاءَةِ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقْرَأُ بِهَا أَوْ يُقِرُّهُمْ عَلَى الْقِرَاءَةِ بِهَا أَوْ يَأْذَنُ لَهُمْ وَقَدْ أَقَرُّوا بِهَا سُنَّةٌ. وَالْعَارِفُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْحَافِظُ لَهَا لَهُ مَزِيَّةٌ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْرِفْ ذَلِكَ، وَلَا يَعْرِفْ إلَّا قِرَاءَةً وَاحِدَةً. وَأَمَّا جَمْعُهَا فِي الصَّلَاةِ أَوْ فِي التِّلَاوَةِ فَهُوَ بِدْعَةٌ مَكْرُوهَةٌ وَأَمَّا جَمْعُهَا لِأَجْلِ الْحِفْظِ وَالدَّرْسِ فَهُوَ مِنْ الِاجْتِهَادِ الَّذِي فَعَلَهُ طَوَائِفُ فِي الْقِرَاءَةِ.[1]

١٨. الاقتداء بالسلف في الاهتمام بالقراءات وإقرائها، بل هو سمة من سمات أهل السنة والجماعة ،فالقراء من السلف عنوا بنقل القرآن وتلقيه وتلقينه بالسند المتصل إلى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ عُثْمَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَن النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[2]. قَالَ وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ حَتَّى كَانَ الْحَجَّاجُ قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا.

---

١ مجموع الفتاوى: ١٣/٤٠٤.
٢ أخرجه البخاري، كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، ٥٠٢٧.

قال ابن الجزري: (يشير إلى كونه جالساً في المجلس الجامع بالكوفة يعلم القرآن ويقرئه مع جلالة قدره وكثرة علمه، وحاجة الناس إلى علمه، وبقي يقرئ الناس بجامع الكوفة أكثر من أربعين سنة، وعليه قرأ الحسن والحسين رضي الله عنهما، ولذلك كان السلف رحمهم الله لا يعدلون بإقراء القرآن شيئاً)[1].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالُوا: أَنِ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالاً يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ، فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ،يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِى الْمَسْجِدِ وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- إِلَيْهِمْ فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ. فَقَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا - قَالَ - وَأَتَى رَجُلٌ حَرَامًا خَالَ أَنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ. فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لأَصْحَابِهِ: «إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا:اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا»[2].

---

١ النشر:١/١٠.

٢ أخرجه مسلم،كتاب الإمارة، باب ثُبُوتِ الْجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ، ٥٠٢٦.

وقال ابن الجزري: (وعن عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني سألت سفيان الثوري عن الرجل يغزو أحب إليك أو يقرئ القرآن ؟ فقال: يقرئ القرآن؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وروينا عن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: «من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً» وذلك قوله- تعالى-: (ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا)قال إلا الذين قرأوا القرآن.

وعن عبد الملك بن عمير: «أبقى الناس عقولاً قراء القرآن»)[1].

قال ابن جرير الطبري: (عن عكرِمة، قال: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر، ثم قرأ:(لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)[2].

١٩. حسب أهمية القراءات أنه فَرْضٌ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ، يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ كَافَّةً أَنْ يُوجَدَ بَيْنَهُمْ عَدَدٌ كَافٍ يَسْقُطُ بِهِمُ الْفَرْضُ، فَإِذَا لَمْ يُوجَدْ بَيْنَهُمْ هَذَا الْعَدَدُ أَثِمَ

---

١ النشر:١/١١.وذكر هذه الرواية ابن جرير في تفسيره جامع البيان، وصحح هذه الرواية الألباني. ينظر صحيح الترغيب والترهيب - للألباني،، مكتبة المعارف – الرياض، ط٥، ٢/٨١.

٢ جامع البيان في تأويل القرآن، ٢/٨١.

الْجَمِيعُ، وإن قام به بعضهم سقط الحرج عن الباقين[1].

٢٠. التنوع في أوجه القراءات، وهذا فيه فوائد كثيرة، كما قال ابن الجزري:

منها: التسهيل والتخفيف على الأمة كما بينا سابقا.

ومنها: ما في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، إذ كل قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل[2].

ومنها: ما في ذلك من عظيم البرهان وواضح الدلالة، إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، وما ذلك إلا آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق من جاء به - صلى الله عليه وسلم-.

ومنها: سهولة حفظه وتيسير نقله على هذه الأمة إذ هو

---

١ حاشية ابن عابدين: ٣٦١/١، والأم للإمام الشافعي: ١٣٠/١، والفروع للإمام ابن مفلح ٣٧/١، وكشاف القناع ٣٤/٣، ومغني المحتاج: ٣٨/١، ٣٤٤/٣.

٢ ينظر النشر، ٦٩/١.

على هذه الصفة من البلاغة والوجازة، فإنه من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه وأقرب إلى فهمه وأدعى لقبوله من حفظه جملاً من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفات لا سيما فيما كان خطه واحداً فإن ذلك أسهل حفظاً وأيسر لفظاً[1].

ومنها: إعظام أجور هذه الأمة، من حيث إنهم يفرغون جهدهم؛ ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، واستخراج كمين أسراره وخفي إشاراته، وإنعامهم النظر وإمعانهم الكشف عن التوجه والتعليل والترجيح، والتفصيل بقدر ما يبلغ غاية علمهم، ويصل إليه نهاية فهمهم (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى) والأجر على قدر المشقة.

ومنها: بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقي، وإقبالهم عليه هذا الإقبال، والبحث عن لفظة لفظة، والكشف عن صيغة صيغة، وبيان صوابه، وبيان تصحيحه، وإتقان تجويده، حتى حموه من خلل التحريف، وحفظوه من الطغيان والتطفيف، فلم يهملوا تحريكاً ولا تسكيناً، ولا تفخيماً ولا ترقيقاً، حتى ضبطوا مقادير المدات

١ ينظر النشر: ١/٦٩.

وتفاوت الإمالات وميزوا بين الحروف بالصفات، مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم، ولا يوصل إليه إلا بإلهام بارئ النسم[1].

ومنها: ما ادخره الله من المنقبة العظيمة، والنعمة الجليلة الجسيمة لهذه الأمة الشريفة، من إسنادها كتاب ربها، واتصال هذا السبب الإلهي بسببها خصيصة الله تعالى هذه الأمة المحمدية، وإعظاماً لقدر أهل هذه الملة الحنيفية، وكل قارئ يوصل حروفه بالنقل إلى أصله، ويرفع ارتياب الملحد قطعاً بوصله، فلو لم يكن من الفوائد إلا هذه الفائدة الجليلة لكفت، ولو لم يكن من الخصائص إلا هذه الخصيصة النبيلة لوفت.

ومنها: ظهور سر الله في توليه حفظ كتابه العزيز وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتمييز، فإن الله – تعالى- لم يخل عصراً من الأعصار، ولو في قطر من الأقطار، من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله تعالى وإتقان حروفه ورواياته، وتصحيح وجوهه وقراآته، يكون وجوده سبباً لوجود هذا السبب القويم على ممر الدهور، وبقاؤه دليلاً على بقاء القرآن العظيم في المصاحف والصدور[2].

وقال ابن تيمية:(وَسَبَبُ تَنَوُّعِ الْقِرَاءَاتِ فِيمَا احْتَمَلَهُ خَطُّ

---

١ ينظر النشر:١/٦٩.

٢ ينظر النشر:١/٦٩.

الْمُصْحَفِ هُوَ تَجْوِيزُ الشَّارِعِ وَتَسْوِيغُهُ ذَلِكَ لَهُمْ ؛ إِذْ مَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى السُّنَّةِ وَالِاتِّبَاعِ لَا إِلَى الرَّأْيِ وَالِابْتِدَاعِ. أَمَّا إذَا قِيلَ: إنَّ ذَلِكَ هِيَ الْأَحْرُفُ السَّبْعَةُ فَظَاهِرٌ وَكَذَلِكَ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى إذَا قِيلَ: إنَّ ذَلِكَ حَرْفٌ مِنْ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ فَإِنَّهُ إذَا كَانَ قَدْ سُوِّغَ لَهُمْ أَنْ يَقْرَءُوهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ مَعَ تَنَوُّعِ الْأَحْرُفِ فِي الرَّسْمِ؛ فَلَأَنْ يُسَوَّغَ ذَلِكَ مَعَ اتِّفَاقِ ذَلِكَ فِي الرَّسْمِ وَتَنَوُّعِهِ فِي اللَّفْظِ أَوْلَى وَأَحْرَى وَهَذَا مِنْ أَسْبَابِ تَرْكِهِمْ الْمَصَاحِفَ أَوَّلَ مَا كُتِبَتْ غَيْرَ مَشْكُولَةٍ وَلَا مَنْقُوطَةٍ ؛ لِتَكُونَ صُورَةُ الرَّسْمِ مُحْتَمِلَةً لِلْأَمْرَيْنِ كَالتَّاءِ وَالْيَاءِ وَالْفَتْحِ وَالضَّمِّ وَهُمْ يَضْبِطُونَ بِاللَّفْظِ كِلَا الْأَمْرَيْنِ وَيَكُونُ دَلَالَةُ الْخَطِّ الْوَاحِدِ عَلَى كِلَا اللَّفْظَيْنِ الْمَنْقُولَيْنِ الْمَسْمُوعَيْنِ الْمَتْلُوَّيْنِ شَبِيهًا بِدَلَالَةِ اللَّفْظِ الْوَاحِدِ عَلَى كِلَا الْمَعْنَيَيْنِ الْمَنْقُولَيْنِ الْمَعْقُولَيْنِ الْمَفْهُومَيْنِ؛ فَإِنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَقَّوْا عَنْهُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِتَبْلِيغِهِ إلَيْهِمْ مِنْ الْقُرْآنِ لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ جَمِيعًا كَمَا قَالَ عبد الله بن حبيب: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِي - وَهُوَ الَّذِي رَوَى عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، وَكَانَ يُقْرِئُ الْقُرْآنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.)[1].

١ مجموع الفتاوى:٤/٤٢٢.

ثانياً: آداب القارئ والمقرئ:

الآداب التي ينبغي أن يتحلي بها قارئ القرآن ومقرؤه:

١. أول ما يجب على كل مسلم عموما وأهل القرآن خصوصاإخلاص النية لله[١] -تعالى- في كل عمل يقربه إليه، وأن يقصد به رضا الله تعالى لا غير. قال تعالى: {وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ} [البينة: ٥]. وقال سبحانه: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧]. قال القرطبي: (قال ابن عطية: المراد بالتقوى هنا اتقاء الشرك بإجماع أهل السنة، فمن اتقاه وهو موحد فأعماله التي تصدق فيها نيته مقبولة...)[٢].

فينبغي للقارئ ألا يقصد بتكراره وجه الرواية فقط، وإنما يقصد التدبر والتفكر؛ ليعمل، وتكثير الأجر وأن له بكل حرف عشر حسنات.

قال الفضيل بن عياض -رحمه الله-: ((أُنزل القرآن ليُعمل به؛ فاتخذ الناس قراءته عملًا، قيل: كيف العمل به؟ قال: أي: ليحلوا حلاله ويأتمروا بأوامره وينتهوا عن نواهيه ويقفوا عند عجائبه))[٣].

---

١ منجد المقرئين ومرشد الطالبين:ص٩.

٢ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، ١٤٠٥ ه - ١٩٨٥ م:١٣٥/٦.

٣ أخلاق حملة القرأن للآجري، ص٤٣.

٢. المتابعة لسبيل المؤمنين، من السلف الصالحين اعتقادا وقولا وفعلا وخلقا وأدبا وسلوكا. قال الفضيل -رحمه الله- في قوله -تعالى-:{ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا }: قَالَ: أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ، قَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ إِذَا كَانَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ: إِذَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ.[١]

فكن على نهج سبيل السلف * في مجمع عليه أو مختلف[٢]

٣. تعلم الواجب عليه من أمور دينه من توحيد العبادة وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ويتعلم أركان الإيمان الست؛ إذ أول واجب على العبيد معرفة الرحمن بالتوحيد والفقه في الدين فيتعلم أركان الإسلام الخمس. قال أبو عمر بن عبد البر -رحمه الله-: ((القرآن أصل العلم، فمن حفظه قبل بلوغه، ثم فرغ إلى ما يستعين به على فهمه من لسان العرب، كان ذلك له عونًا كبيرًا على مراده منه...، ثم ينظر في السنن المأثورة الثابتة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فبها يصل الطالب إلى مراد الله -عز وجل- في كتابه، وهي تفتح له أحكام

---

١ ينظر معالم التنزيل لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ]، تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م:١٢٦/٨.

٢ طيبة النشر، ص١.

القرآن فتحًا))[1].

٤. تعلم قدر ما يدفع به شبهة مَن يطعن في دينه،ومن ذلكم تعلم شبهة من يطعن في القراءات.

٥. أن يكون كامل الطهارة. فيستحب له أن يكون متوضئا، وله أن يقرأ من المصحف وإن لم يكن متوضئا، ولكن هل له أن يمس المصحف؟.

قال ابن رشد: (الْمَسْأَلَةُ الأُولَى [مَسُّ الْمُصْحَفِ] هَلْ هَذِهِ الطَّهَارَةُ شَرْطٌ فِي مَسِّ الْمُصْحَفِ أَمْ لَا؟ فَذَهَبَ مَالِكٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ إِلَى أَنَّهَا شَرْطٌ فِي مَسِّ الْمُصْحَفِ، وَذَهَبَ أَهْلُ الظَّاهِرِ إِلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِشَرْطٍ فِي ذَلِكَ. وَالسَّبَبُ فِي اخْتِلَافِهِمْ تَرَدُّدُ مَفْهُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الْمُطَهَّرُونَ هُمْ بَنُو آدَمَ وَبَيْنَ أَنْ يَكُونُوا هُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْخَبَرُ مَفْهُومُهُ النَّهْيُ، وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا لَا نَهْيًا، فَمَنْ فَهِمَ مِنَ «الْمُطَهَّرُونَ» بَنِي آدَمَ، وَفَهِمَ مِنَ الْخَبَرِ النَّهْيَ قَالَ: لَا يَجُوزُ أَنْ يَمَسَّ الْمُصْحَفَ إِلَّا طَاهِرٌ، وَمَنْ فَهِمَ مِنْهُ الْخَبَرَ فَقَطْ، وَفَهِمَ مِنْ لَفْظِ «الْمُطَهَّرُونَ» الْمَلَائِكَةَ قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى اشْتِرَاطِ هَذِهِ الطَّهَارَةِ فِي مَسِّ الْمُصْحَفِ،

---

١ جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي. تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م: ٢ / ١١٣٠.

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ دَلِيلٌ لَا مِنْ كِتَابٍ وَلَا مِنْ سُنَّةٍ ثَابِتَةٍ بَقِيَ الْأَمْرُ عَلَى الْبَرَاءَةِ الْأَصْلِيَّةِ وَهِيَ الْإِبَاحَةُ. وَقَدِ احْتَجَّ الْجُمْهُورُ لِمَذْهَبِهِمْ بِحَدِيثِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: « أَنَّ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كَتَبَ: لَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ »....قال: وَرَخَّصَ مَالِكٌ لِلصِّبْيَانِ فِي مَسِّ الْمُصْحَفِ عَلَى غَيْرِ طُهْرٍ، لِأَنَّهُمْ غَيْرُ مُكَلَّفِينَ)[1].

وَسُئِلَ شيخ الإسلام عَنْ رَجُلٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَلَيْسَ لَهُ عَلَى الْوُضُوءِ قُدْرَةٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ: فَهَلْ لَهُ أَنْ يَكْتُبَ فِي اللَّوْحِ وَيَقْرَؤُهُ إنْ كَانَ عَلَى وُضُوءٍ وَغَيْرِ وُضُوءٍ. أَمْ لَا؟ وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: { لَا يَمَسُّهُ إلَّا الْمُطَهَّرُونَ } تَطْهِيرُ الْقَلْبِ وَأَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْجُسُ وَقَالَ: بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ: لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَمَسَّ اللَّوْحَ أَوْ الْمُصْحَفَ عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ أَبَدًا فَهَلْ بَيْنَ الْأَئِمَّةِ خِلَافٌ فِي هَذَا أَمْ لَا؟.

فَأَجَابَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ إذَا قَرَأَ فِي الْمُصْحَفِ أَوْ اللَّوْحِ وَلَمْ يَمَسَّهُ جَازَ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ عَلَى غَيْرِ طَهُورٍ، وَيَجُوزُ لَهُ أَنْ يَكْتُبَ فِي اللَّوْحِ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَسُئِلَ هَلْ يَجُوزُ مَسُّ الْمُصْحَفِ بِغَيْرِ وُضُوءٍ أَمْ لَا؟.

---

١ بداية المجتهد ونهاية المقتصد للإمام القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي الشهير (بابن رشد الحفيد) المتوفى سنة ٥٩٥ ه دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ ه - ١٩٩٥ م ٣٧/١.

فَأَجَابَ: مَذْهَبُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ أَنَّهُ لَا يَمَسُّ الْمُصْحَفَ إِلَّا طَاهِرٌ كَمَا قَالَ فِي الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: « أَنْ لَا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ». قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَد: لَا شَكَّ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَتَبَهُ لَهُ وَهُوَ أَيْضًا قَوْلُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَغَيْرِهِمَا. وَلَا يُعْلَمُ لَهُمَا مِنْ الصَّحَابَةِ مُخَالِفٌ.

وَسُئِلَ عَن الْإِنْسَانِ إذَا كَانَ عَلَى غَيْرِ طُهْرٍ وَحَمَلَ الْمُصْحَفَ بِأَكْمَامِهِ لِيَقْرَأَ بِهِ وَيَرْفَعَهُ مِنْ مَكَانٍ إلَى مَكَانٍ هَلْ يُكْرَهُ ذَلِكَ ؟.فَأَجَابَ: وَأَمَّا إذَا حَمَلَ الْإِنْسَانُ الْمُصْحَفَ بِكُمِّهِ فَلَا بَأْسَ وَلَكِنْ لَا يَمَسُّهُ بِيَدَيْهِ. وَسُئِلَ عَمَّنْ مَعَهُ مُصْحَفٌ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ كَيْفَ يَحْمِلُهُ ؟.

فَأَجَابَ: وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مُصْحَفٌ فَلَهُ أَنْ يَحْمِلَهُ بَيْنَ قُمَاشِهِ وَفِي خُرْجِهِ وَحِمْلِهِ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ الْقُمَاشُ لِرَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ أَوْ صَبِيٍّ وَإِنْ كَانَ الْقُمَاشُ فَوْقَهُ أَوْ تَحْتَهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وهل يجوز للجنب والحائض قراءة القرآن؟. سُئِلَ عَمَّا تَجِبُ لَهُ الطَّهَارَتَانِ: الْغُسْلُ وَالْوُضُوءُ ؟.

فَأَجَابَ: ذَلِكَ وَاجِبٌ لِلصَّلَاةِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ فَرْضُهَا وَنَفْلُهَا وَاخْتُلِفَ فِي الطَّوَافِ وَمَسِّ الْمُصْحَفِ. وَاخْتُلِفَ أَيْضًا فِي سُجُودِ التِّلَاوَةِ وَصَلَاةِ الْجِنَازَةِ هَلْ

تَدْخُلُ فِي مُسَمَّى الصَّلَاةِ الَّتِي تَجِبُ لَهَا الطَّهَارَةُ ؟. وَأَمَّا الِاعْتِكَافُ فَمَا عَلِمْت أَحَدًا قَالَ إنَّهُ يَجِبُ لَهُ الْوُضُوءُ وَكَذَلِكَ الذِّكْرُ وَالدُّعَاءُ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ الْحَائِضَ بِذَلِكَ. وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ فَفِيهَا خِلَافٌ شَاذٌّ. فَمَذْهَبُ الْأَرْبَعَةِ تَجِبُ الطَّهَارَتَانِ لِهَذَا كُلِّهِ إلَّا الطَّوَافَ مَعَ الْحَدَثِ الْأَصْغَرِ فَقَدْ قِيلَ فِيهِ نِزَاعٌ. وَالْأَرْبَعَةُ أَيْضًا لَا يُجَوِّزُونَ لِلْجُنُبِ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ وَلَا اللُّبْثَ فِي الْمَسْجِدِ إذَا لَمْ يَكُنْ عَلَى وُضُوءٍ وَتَنَازَعُوا فِي قِرَاءَةِ الْحَائِضِ وَفِي قِرَاءَةِ الشَّيْءِ الْيَسِيرِ. وَفِي هَذَا نِزَاعٌ فِي مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ كَمَا قَدْ ذُكِرَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ. وَمَذْهَبُ أَهْلِ الظَّاهِرِ: يَجُوزُ لِلْجُنُبِ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ وَاللُّبْثَ فِي الْمَسْجِدِ هَذَا مَذْهَبُ داود وَأَصْحَابِهِ وَابْنِ حَزْمٍ. وَهَذَا مَنْقُولٌ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ. وَأَمَّا مَذْهَبُهُمْ فِيمَا تَجِبُ لَهُ الطَّهَارَتَانِ ؟ فَالَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ حَزْمٍ أَنَّهَا لَا تَجِبُ إلَّا لِصَلَاةِ: هِيَ رَكْعَتَانِ أَوْ رَكْعَةُ الْوِتْرِ أَوْ رَكْعَةٌ فِي الْخَوْفِ أَوْ صَلَاةُ الْجِنَازَةِ وَلَا تَجِبُ عِنْدَهُ الطَّهَارَةُ لِسَجْدَتَيْ السَّهْوِ فَيَجُوزُ عِنْدَهُ لِلْجُنُبِ وَالْمُحْدِثِ وَالْحَائِضِ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَالسُّجُودُ فِيهِ وَمَسُّ الْمُصْحَفِ قَالَ: لِأَنَّ هَذِهِ الْأَفْعَالَ خَيْرٌ مَنْدُوبٌ إلَيْهَا فَمَنْ ادَّعَى مَنْعَ هَؤُلَاءِ مِنْهَا فَعَلَيْهِ الدَّلِيلُ. وَأَمَّا الطَّوَافُ فَلَا يَجُوزُ لِلْحَائِضِ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ..... ثم قال: وَالصَّحِيحُ فِي هَذَا الْبَابِ مَا ثَبَتَ عَنِ الصَّحَابَةِ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - وَهُوَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَهُوَ

أَنَّ مَسَّ الْمُصْحَفِ لَا يَجُوزُ لِلْمُحْدِثِ وَلَا يَجُوزُ لَهُ صَلَاةُ جِنَازَةٍ وَيَجُوزُ لَهُ سُجُودُ التِّلَاوَةِ. فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ ثَابِتَةٌ عَنْ الصَّحَابَةِ)[1].

وقال بعض السلف: أما الحائض والجنب فلا يجب عليهما الوضوء عند قراءة القرآن، ويجوز لهما تلاوة القرآن دون مس المصحف، وهو قول لمالك وبعض السلف؛ لحديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: «كان النبي صلى الله عليه و سلم يذكر الله على كل أحيانه»[2].

وورد عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه كان يقرأ ورده وهو جنب، فقيل له فى ذلك، فقال: ما فى جوفي أكثر منه .

وقال حماد: سألت ابن المسيب أيقرأ الجنب القرآن؟ قال: أليس فى جوفه؟.وعن عبد الرحمن بن غنم أنه سأل معاذ بن جبل أيقرأ الجنب القرآن؟ قال: نعم، إن شاء، قلت: والحائض والنفساء؟ قال: نعم، لا يدعن أحد ذكر الله، وتلاوة كتابه على حال، قلت: فإن الناس يكرهونه، قال: من كرهه فإنما كرهه تنزهًا، ومن نهى عنه فإنما يقول بغير علم، ما نهى رسول الله عن شيء من ذلك.[3]

١ مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٤/٤٤٩.
٢ أخرجه البخاري كِتَاب الْحَيْضِ بَاب تَقْضِي الْحَائِضُ الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا إِلَّا الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ ومسلم كِتَاب الْحَيْضِ بَاب ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي حَالِ الْجَنَابَةِ وَغَيْرِهَا.
٣ شرح ابن بطال المالكي على البخاري: ١/٤٥٩.

قال البخاري في صحيحه: (وَلَمْ يَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِالْقِرَاءَةِ لِلْجُنُبِ بَأْسًا)[1].

وأما حديث عَلِيٍّ: «كَانَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْرِئُنَا الْقُرْآنَ عَلَى كُلِّ حَالٍ مَا لَمْ يَكُنْ جُنُبًا» فهو حديث ضعيف[2].

وأما حديث علي الموقوف عنه -رضي الله عنه-:{ اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا لَمْ تُصِبْ أَحَدَكُمْ جَنَابَةٌ، فَإِنْ أَصَابَتْهُ فَلَا، وَلَا حَرْفًا } فقال ابن حجر: (قال ابن خزيمة: لا حجة في هذا الحديث لمن منع الجنب من القراءة لأنه ليس فيه نهي وإنما هي حكاية فعل، ولم يبيّن صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّم أنه إنما امتنع عن ذلك لأجل الجنابة. وروى البخاري عن ابن عباس: «أنه لم ير بالقراءة للجنب بأساً)[3].

والإمام البخاري عقد بابا في صحيحه يدل على أنه قائل بجواز قراءة القرآن للجنب والحائض، فإنه قال: باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت. ثم ذكر فيه حديث عائشة – رضي الله عنها- قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذكر إلا الحج، فلما جئنا سرف حضت الحديث، وفيه فافعلي ما

---

١ صحيح البخاري، ١/١٥٣.

٢ صحيح وضعيف سنن الترمذي لمحمد ناصر الدين الألباني:. ١٤٦/١.

٣ تلخيص الحبير:٣٧٥/١.

يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري، قال الحافظ في الفتح قال ابن بطال وغيره: إن مراد البخاري الاستدلال على جواز قراءة الحائض والجنب بحديث عائشة لأنه صلى الله عليه وسلم لم يستثن من جميع مناسك الحج إلا الطواف، وإنما استثناه لكونه صلاة مخصوصة، وأعمال الحج مشتملة على ذكر وتلبية ودعاء ولم تمنع الحائض من شيء من ذلك، فكذلك الجنب لأن حدثها أغلظ من حدثه ومنع القراءة إن كان لكونه ذكر الله فلا فرق بينه وبين ما ذكر، وإن كان تعبداً فيحتاج إلى دليل خاص ولم يصح عند المصنف يعني البخاري شيء من الأحاديث الواردة في ذلك وإن كان مجموع ما ورد في ذلك تقوم به الحجة عند غيره. لكن أكثرها قابل للتأويل،ولهذا تمسك البخاري ومن قال بالجواز غيره كالطبري وابن المنذر وداود بعموم حديث: «كان يذكر الله على كل أحيانه » لأن الذكر أعم من أن يكون بالقرآن أو بغيره، وإنما فرق بين الذكر والتلاوة... ثم قال:: وأما حديث ابن عمر مرفوعا: «لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئا من القرآن » فضعيف من جميع طرقه...)[1].

وأما قوله تعالى: {فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ،لا يمسه إلا المطهرون}

---

١ فتح الباري لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب،رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي. ٤٠٧/١.

فهو في كتاب مصون عند الله لا يمسه شيء من أذى من غبار ولا غيره، والمراد بالمطهرين الملائكة.[1]

وقال مالك: (أحسن ما سمعت في قوله: (لا يمسه إلا المطهرون) أنها بمنزلة الآية التي في (عبس وتولى) (فمن شاء ذكره،في صحف مكرمة،مرفوعة مطهرة،بأيدي سفرة،كرام بررة). يريد أن المطهرين هم الملائكة الذين وصفوا بالطهارة في سورة (عبس).[2]

وقال الشوكاني عن قوله تعالى: {لا يمسه إلا المطهرون}: لا يصح حمل المطهر على من ليس بجنب أو حائض أو محدث أو متنجس بنجاسة عينية بل يتعين حمله على من ليس بمشرك كما في قوله تعالى { إنما المشركون نجس }[3].

وقال الألباني: عن حديث: «لا يمس القرآن إلا طاهر» فالأقرب - والله أعلم - أن المراد بالطاهر في هذا الحديث هو المؤمن سواء أكان محدثا حدثا أكبر أو أصغر أو حائضا أو على بدنه نجاسة لقوله صلى الله عليه و سلم: «المؤمن لا ينجس» وهو متفق على صحته والمراد عدم تمكين المشرك من مسه...)[4].

١ ينظر جامع البيان في تأويل القرآن:١٥٠/٢٣.
٢ الجامع لأحكام القرآن: ٢٢٥/١٧.
٣ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني. ٣٧٣/١.
٤ تمام المنة: ١٠٧/١.

٦. التنزه عن أسباب الفسق ومسقطات المروءة.

٧. التحلي بالخلال الحميدة المرضية: (حسن الخلق) فقد كان صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم:٤).

وعن عائشة لما سئلت رضي الله عنها عن خلق النبي عليه الصلاة والسلام، فقالت: (كان خلقه القرآن)[1]. وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا»[2].

وقال صلى الله عليه وسلم -: ((وخالق الناس بخلق حسن))[3].

ونحن لنا في رسول الله أسوة حسنة قال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر...). فليتحل القارئ والمقرئ بالخلال الحميدة المرضية. من الزهد في الدنيا، والتقلل منها وعدم المبالاة بها وبأهلها والسخاء والحلم والصبر ومكارم الأخلاق، وطلاقة الوجه، من غير خروج إلى حد الخلاعة، وملازمة

١ أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، ٧٤٦، وأحمد في المسند ٣٢٣٣/١، ٢٤٦٤٥، ولفظ مسلم: فإن خلق نبي الله -صلى الله عليه وسلم- كان القرآن.

٢ أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي، ٦٢٠٣.

٣ أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في معاشرة الناس، ١٩٨٧.

الورع والخشوع، والسكينة والوقار، والتواضع والخضوع.

٨. السواك بعود من أراك، فعن علي -رضي الله عنه- قال: «أمرنا بالسواك» وقال: «إن العبد إذا قام يصلي أتاه الملك فقام خلفه...»[١].

٩. اجتناب الملابس المكروهة وغير ذلك مما لا يليق به.

١٠. الحذر من الرياء والحسد والحقد والغيبة واحتقار غيره، والعجب.

قال الشاطبي:

وَعِشْ سَالِماً صَدْراً وَعَنْ غِيبَةٍ فَغِبْ * تُحَضَّرْ حِظَارَ الْقُدْسِ أَنْقَى مُغَسَّلاَ
وَهذَا زَمَانُ الصَّبْرِ مَنْ لَكَ بِالَّتِي * كَقَبْضٍ عَلَى جَمْرٍ فَتَنْجُو مِنَ الْبلاَ
وَلَوْ أَنَّ عَيْناً سَاعَدتْ لتَوَكَّفَتْ * سَحَائِبُهَا بِالدَّمْعِ دِيْماً وَهُطَّلاَ
وَلكِنَّها عَنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ قَحْطُهاَ * فَيَا ضَيْعَةَ الأَعْمَارِ تَمْشِي سَبَهْلَلاَ[٢]

١١- اجتناب التوصل إلى غرض من أغراض الدنيا من مال أو رياسة أو وجاهة أو ثناء عند الناس أو صرف وجوه الناس إليه أو نحو ذلك.

١ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الطهارة، باب تأكيد السواك عند القيام إلى الصلاة، ١٦٥، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، ٢٧٤/٥.
٢ متن الشاطبية، ص٤.

قال -صلى الله عليه وسلم-: «من تعلم العلم ليباهي به العلماء ويجاري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم»[١].

١٢. التوسعة في مجلسه؛ ليتمكن جلساؤه فيه قال- صلى الله عليه وسلم-: «خير المجالس أوسعها»[٢].

١٣. يقدم الأول فالأول[٣]. وهذا من العدل.

١٤. الحكمة في تعليمه. فيراعي مدارك الطلاب، وقدراتهم وأعمارهم، ويعطي كلًا بما يقدر عليه. قال تعالى (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا).

فعلى المقرئ أن يكون حكيمًا في تعليمه، قال الضحاك في معنى قوله تعالى {بِمَا كُنْتُمْ تعلمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ} (آل عمران: ٧٩)، قال: «حق على من تعلَّم القرآن أن يكون فقيهًا»[٤].

وقال البخاري: «ويقال: الرباني الذي يربّي الناس بصغار العلم قبل كباره»[٥]، أي: يبدأ بالأهم فالمهم.

١ أخرجه ابن ماجه، باب الوصاة بطلبة العلم، ٢٥٩، وصححه الألباني، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، ٣٣٢/١.

٢ أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب: في سعة المجلس، ٤٨٢٠. وصححه الألباني، صحيح أبي داود. أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني. مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ٢/١.

٣ منجد المقرئين ومرشد الطالبين:ص١٢.

٤ تفسير ابن كثير: ١ / ٣٨٥.

٥ كتاب العلم: باب العلم قبل القول والعمل.

قال النووي: «وينبغي أن يؤدب المتعلم على التدريج بالآداب السنية، والشيم المرضية»[١].

١٥. أن يكون رفيقا بطلابه، ويصبر عليهم قال - صلى الله عليه وسلم-: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه»[٢].

قال الآجري: «وينبغي لمن قرأ عليه القرآن فأخطأ فيه، أو غلط ألا يعنفه، وأن يرفق به، ولا يجفو عليه، ويصبر عليه؛ فإني لا آمن أن يجفو عليه فينفر عنه، وبالحري ألا يعود إلى المسجد»[٣].

وقال تعالى عن الصبر: (إنما يوفى الصبرون أجرهم بغير حساب).

وقال صلى الله عليه وسلم: «والصبر ضياء»[٤]. قال النووي - رحمه الله -: «وينبغي أن يحنو على الطالب،

١ التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي. حققه وعلق عليه: محمد الحجار، ط٣، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان: ٣٣.

٢ أخرجه البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم، ١٦/٩، ٦٩٢٧.

٣ أَخْلاقُ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ، أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الآجُرِّيِّ الْبَغْدَادِيِّ. تَحْقِيقُ وَتَعْلِيقُ: أَبُو مُحَمَّدٍ أَحْمَدُ شِحَاتَه الأَلْفِيُّ السَّكَنْدَرِيُّ، ط١: ١٤٢٦ هـ /٢٠٠٥ م. دَارُ النَّشْرِ: دُارُ الصَّفَا والْمَرْوَةِ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ، ٥٣.

٤ أخرجه مسلم. كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، ٢٥٩٣.

ويعتني بمصالحه كاعتنائه بمصالح نفسه ومصالح ولده، ويجري المتعلِّم مجرى ولده في الشفقة عليه، والاهتمام بمصالحه، والصبر على جفائه، وسوء أدبه، ويعذره في قلة أدبه في بعض الأحيان؛ فإن الإنسان معرض للنقائص، لا سيما إن كان صغير السن»[1].

وإن مازح الشيخ طلابه فلا حرج، بأن يلاطفهمويؤانسهم والهدف منه إدخال السرور على الطلاب،وزيادة الألفة والمحبة، ولهذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم- يداعب أصحابه،و يمازحهم بقدر الحاجة،ولا يقول إلا حقا.وينبغي أن يكون المزاح مثل الملح في الطعام.

و(المزاح المنهي ما فيه إفراط ومداومة فإنه يورث الضحك والقسوة ويشغل عن الذكر والفكر في مهمات الدين فيورث الحقد ويسقط المهابة والوقار، وما سلم من ذلك هو المباح الذي كان المصطفى - صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم - يفعله فإنه إنما كان يفعله نادرا لمصلحة كمؤانسة وتطييب نفس المخاطب وهذا لا منع منه قطعا بل هو مستحب)[2].

١٦. وللمقرئ أن يقرئ في الطريق فعن عَائِشَة رضي

---

١ التبيان: ٣١.

٢ فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٤٩م،:٦/٥٤٦.

الله عنها وعن أبيها: - قالت: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللهَّ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ وأفضل الذكر كلام الله.

١٧. وله أن يقرئ طلابه جماعة بصوت واحد تلقينا؛ للتعليم فقط.

قال أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، الآجُرِّيُّ الْبَغْدَادِيُّ: (وأما التلقين فلا بأس به أن يلقن الجماعة)[1].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمهُ الله- يعفى عنه. [أي: التلقين] مع الصبيان الصغار المتعلمين عن طريق التعليم حتى يستقيم لسانهم جميعاً.

وكذلك المتعلمون في المدارس إذا رأى الأستاذ أن يتكلموا جميعاً حتى يعتدل الصوت وحتى تستقيم التلاوة من الصبيان الصغار في باب التعلم، فهذا نرجو ألا يكون فيه حرج؛ لما فيه من العناية بالتعليم والحرص على استقامة الأصوات وحسن الأداء.

أما فيما بين الناس؛ في التلاوة في المساجد، أو في غير المساجد، في الصباح أو في المساء أو أي مكان يتلون القرآن جميعاً فهذا لا نعلم له أصلاً.وقد قال عليه الصلاة والسلام: (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ

١ أخلاق حملة القرآن ص٤٧.

رَدٌّ) فنصيحتي ألا يفعل مثل ذلك»انتهى)[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: (إذا كان الجماعة يقرؤون القرآن بصوت واحد من أجل الاستعانة على الحفظ لا من أجل التعبد بذلك فلا بأس، بشرط أن لا يحصل منهم تشويش على المصلين)[2]. وقالت اللجنة الدائمة: (إذا كان ذلك من أجل التعليم فنرجو أن يكون ذلك لا بأس به)[3].

١٨. وللمقرئ أخذ الأجرة على تعليم القرآن في أصح قولي العلماء، فقد أجازها الحسن وابن سيرين والشعبي إذا لم يشترط، ومذهب الشافعي، ومالك وعطاء جوازها إذا شارطه واستأجره إجاره صحيحة؛ لعموم قوله - صلى الله عليه وسلم: (إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله) متفق عليه. وهذا الحديث وإن كان وارداً في الجعل على الرقيا بكتاب الله فالعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب[4].

قال في المدونة: وَقَالَ مَالِكٌ: (لَا بَأْسَ بِمَا يَأْخُذُهُ الْمُعَلِّمُ اشْتَرَطَ ذَلِكَ أَوْ لَمْ يَشْتَرِطْ، قَالَ: وَإِنْ كَانَ اشْتَرَطَ عَلَى

---

١ «فتاوى نور على الدرب» (١/٣٤٧).

٢ مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين المجلد السادس عشر - باب صلاة الجمعة.

٣ فتاوى اللجنة الدائمة: ١١٢/٤ .

٤ أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي: ٢٩١/٢.

تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ شَيْئًا مَعْلُومًا كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا وَلَمْ أَرَ بِهِ بَأْسًا) [١]. وقال في تهذيب المدونة:(ولا بأس بالإجارة على تعليم القرآن، كل سنة، أو كل شهر بكذا، أو على الحِذاق للقرآن بكذا، أو على أن يعلمه القرآن كله أو سدسه بكذا[٢].

وقال النووي: (وَفِي هَذَا الْحَدِيث يعني قوله – صلى الله عليه وسلم-: «زَوَّجْتُكَهَا فَعَلِّمْهَا مِن الْقُرْآنِ» دَلِيل لِجَوَازِ كَوْن الصَّدَاق تَعْلِيم الْقُرْآن، وَجَوَاز الِاسْتِئْجَار لِتَعْلِيمِ الْقُرْآن، وَكِلَاهُمَا جَائِز عِنْد الشَّافِعِيّ، وَبِهِ قَالَ عَطَاء وَالْحَسَن بْن صَالِح وَمَالِك وَإِسْحَاق وَغَيْرهمْ، وَمَنَعَهُ جَمَاعَة مِنْهُمْ الزُّهْرِيُّ وَأَبُو حَنِيفَة، وَهَذَا الْحَدِيث مَعَ الْحَدِيث الصَّحِيح:» إِنَّ أَحَقّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَاب اللَّهَ « يَرُدَّانِ قَوْل مَنْ مَنْع ذَلِكَ. وَنَقَلَ الْقَاضِي عِيَاض جَوَاز الِاسْتِئْجَار لِتَعْلِيمِ الْقُرْآن عَنْ الْعُلَمَاء كَافَّة سِوَى أَبِي حَنِيفَة)[٣].

وقال القرطبي: أبو العبَّاس أحمَدُ بنُ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ، الأنصاريُّ في المفهم لما أشكل من

١ المدونة، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني. دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م: ١٢١/١.

٢ تهذيب مسائل المدونة،المسمى التهذيب في اختصار المدونة، تصنيف: أبي سعيد خلف بن أبي القاسم القيرواني،البراذعي [من علماء القرن الرابع الهجري]،تحقيق وتعليق: أبو الحسن أحمد فريد المزيدي: ١٢٢/٣.

٣ شرح النووي على مسلم،دار إحياء التراث، بيروت: ١٣٩٢هـ: ٢١٤/٩.

تلخيص كتاب مسلم: (وأمَّا الأجرة على تعليم القرآن: فأجازها الجمهور من السلف والخلف متمسكين بهذا الحديث [يعني حديث الرهط من أصحاب النبي حين نزلوا بحيٍّ من أحياء العرب، فاستضافوهم، فأبوا أن يضيفوهم. فلُدِغ سيِّدُ ذلكم الحيّ، فَشَفَوا له بكل شيء لا ينفعه شيء. فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرَّهط الذين نزلوا بكم لعل يكون عند بعضهم شيء ينفع صاحبكم. فقال بعضهم: إن سيِّدنا لُدغ فشفينا له بكل شيء، لا ينفعه شيء. فهل عند أحد منكم شيء يشفي صاحبنا رُقية. فقال رجل من القوم: إني لأرقي، ولكن استضفناكم فأبيتم أن ضيفونا ! ما أنا براقٍ حتَّى تجعلوا لنا جعلاً، فجعلوا له قطيعًا من الشاء، فأتاه، فقرأ عليه أمَّ الكتاب، ويَتْفِل حتَّى برأ كأنما أُنشط من عقال. قال: فأوفاهم جُعلهم الذي صالحوهم عليه. فقال: اقتسموا. فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونستأمره، فغدوا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم، فذكروا ذلك له، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: ((من أين علمتم أنها رقية ؟! أحسنتم، فاضربوا لي معكم بسهم] قال القرطبي:، وما زاد فيه البخاري من حديث ابن عباس: أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله»). قال القرطبي في المفهم: وهو عمومٌ قوي،

وظاهرٌ جلي[1].

وقال القرطبي المفسر -رحمه الله- في قوله -تعالى-: (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) فيه أربع مسائل:.... الثانية - وقد اختلف العلماء في أخذ الأجرة على تعليم القرآن والعلم - لهذه الآية وما كان في معناها - فمنع ذلك الزهري وأصحاب الرأي وقالوا: لا يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن لأن تعليمه واجب من الواجبات التي يحتاج فيها إلى نية التقرب والإخلاص فلا يؤخذ عليها أجرة كالصلاة والصيام.وقد قال – تعالى -: « ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا «.......ثم قال: وأجاز أخذ الأجرة على تعليم القرآن مالك والشافعي وأحمد وأبو ثور وأكثر العلماء؛ لقوله - عليه السلام- في حديث ابن عباس - حديث الرقية -: (إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله).أخرجه البخاري وهو نص يرفع الخلاف فينبغي أن يعول عليه.

وأما ما احتج به المخالف من القياس على الصلاة والصيام ففاسد لأنه في مقابلة النص ثم إن بينهما فرقانا وهو أن الصلاة والصوم عبادات مختصة بالفاعل وتعليم القرآن عبادة متعدية لغير المعلم فتجوز الأجرة على

١ المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي. دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، المحققون: محي الدين ديب مستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، ط١، ١٩٩٦ - ١٤١٧:١٨/ ٦٩.

محاولته النقل كتعليم كتابة القرآن........ثم قال: وأما الجواب عن الآية - فالمراد بها بنو إسرائيل، وشرع من قبلنا هل هو شرع لنا، فيه خلاف....جواب ثان - وهو أن تكون الآية فيمن تعين عليه التعليم فأبى حتى يأخذ عليه أجرا.

فأما إذا لم يتعين فيجوز له أخذ الأجرة بدليل السنة في ذلك وقد يتعين عليه إلا أنه ليس عنده ما ينفقه على نفسه ولا على عياله فلا يجب عليه التعليم وله أن يقبل على صنعته وحرفته....)[1].

وَسُئِلَ شيخ الإسلام - رَحِمَهُ اللَّهُ- عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَصَدَ لِأَنْ يُقْرَأَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَغَيْرِهَا مِن الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ فَامْتَنَعَ مِنْ إقْرَائِهَا إلَّا بِأُجْرَةِ. فَقِيلَ لَهُ: قَدْ رُوِيَ مِنْ هَدْيِ السَّلَفِ وَأَئِمَّةِ الْهُدَى تَعْلِيمُ الْعِلْمِ ابْتِغَاءً لِوَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ مَا لَا خَفَاءَ بِهِ عَلَى عَاقِلٍ وَهَذَا مِمَّا لَا يَنْبَغِي. فَقَالَ: أَقْرِئْ الْعِلْمَ بِغَيْرِ أُجْرَةٍ يَحْرُمُ عَلَيَّ ذَلِكَ فَكَلَامُهُ صَحِيحٌ ؟ أَمْ بَاطِلٌ ؟ وَهَلْ هُوَ جَاهِلٌ بِقَوْلِهِ إنَّهُ مَعْذُورٌ. وَهَلْ يَجُوزُ لَهُ أَخْذُ الْأُجْرَةِ عَلَى تَعْلِيمِ الْعِلْمِ النَّافِعِ ؟ أَمْ يُكْرَهُ لَهُ ذَلِكَ؟.

---

١ ينظر الجامع لأحكام القرآن:١/٣٣٥.

فأَجَابَ شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ-: الحَمْدُ لِلَّهِ. أَمَّا تَعْلِيمُ الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ بِغَيْرِ أُجْرَةٍ فَهُوَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ وَأَحَبُّهَا إلَى اللهِّ وَهَذَا مِمَّا يُعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ لَيْسَ هَذَا مِمَّا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ مِمَّنْ نَشَأَ بِدِيَارِ الْإِسْلَامِ. وَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَتَابِعُو التَّابِعِينَ وَغَيْرُهُمْ مِن الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ عِنْدَ الْأُمَّةِ بِالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ إنَّمَا كَانُوا يُعَلِّمُونَ بِغَيْرِ أُجْرَةٍ. وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ يُعَلِّمُ بِأُجْرَةِ أَصْلًا. فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ. وَالْأَنْبِيَاءُ رِضْوَانُ اللهِّ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ إنَّمَا كَانُوا يُعَلِّمُونَ الْعِلْمَ بِغَيْرِ أُجْرَةٍ. كَمَا قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إنْ أَجْرِيَ إلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} وَكَذَلِكَ قَالَ هُودُ وَصَالِحٌ وَشُعَيْبٌ وَلُوطٌ وَغَيْرُهُمْ. وَكَذَلِكَ قَالَ خَاتَمُ الرُّسُلِ: { قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ } وَقَالَ: { قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إلَى رَبِّهِ سَبِيلًا }. وَتَعْلِيمُ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ بِغَيْرِ أُجْرَةٍ لَمْ يَتَنَازَع الْعُلَمَاءُ فِي أَنَّهُ عَمَلٌ صَالِحٌ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ جَائِزًا؛ بَلْ هُوَ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ؛ فَإِنَّ تَعْلِيمَ الْعِلْمِ الَّذِي بَيَّنَهُ فُرِضَ عَلَى الْكِفَايَةِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: { بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً } وَقَالَ: { لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ }. وَإِنَّمَا تَنَازَعَ الْعُلَمَاءُ فِي جَوَازِ

الِاسْتِئْجَارِ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ. عَلَى قَوْلَيْنِ مَشْهُورَيْنِ هُمَا رِوَايَتَانِ عَنْ أَحْمَد. إحْدَاهُمَا - وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَغَيْرِهِ - أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الِاسْتِئْجَارُ عَلَى ذَلِكَ. وَالثَّانِيَةُ - وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ - أَنَّهُ يَجُوزُ الِاسْتِئْجَارُ. وَفِيهَا قَوْلٌ ثَالِثٌ فِي مَذْهَبِ أَحْمَد أَنَّهُ يَجُوزُ مَعَ الْحَاجَةِ؛ دُونَ الْغِنَى كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي وَلِيِّ الْيَتِيمِ: {وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ}. وَيَجُوزُ أَنْ يُعْطَى هَؤُلَاءِ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّعْلِيمِ كَمَا يُعْطَى الْأَئِمَّةُ وَالْمُؤَذِّنُونَ وَالْقُضَاةُ وَذَلِكَ جَائِزٌ مَعَ الْحَاجَةِ. وَهَلْ يَجُوزُ الِارْتِزَاقُ مَعَ الْغِنَى ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ لِلْعُلَمَاءِ. فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِن الْمُسْلِمِينَ أَنَّ عَمَلَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ بِغَيْرِ أَجْرٍ لَا يَجُوزُ. وَمَنْ قَالَ: إنَّ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ؛ فَإِنَّهُ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ؛ لَكِنْ إنْ أَرَادَ أَنَّهُ فَقِيرٌ مَتَى عَلَّمَ بِغَيْرِ أَجْرٍ عَجَزَ عَن الْكَسْبِ لِعِيَالِهِ وَالْكَسْبُ لِعِيَالِهِ وَاجِبٌ عَلَيْهِ مُتَعَيِّنٌ فَلَا يَجُوزُ لَهُ تَرْكُ الْوَاجِبِ الْمُتَعَيِّنِ لِغَيْرِ مُتَعَيِّنٍ وَاعْتَقَدَ مَعَ ذَلِكَ جَوَازَ التَّعْلِيمِ بِالْأُجْرَةِ مَعَ الْحَاجَةِ أَوْ مُطْلَقًا؛ فَهَذَا مُتَأَوِّلٌ فِي قَوْلِهِ لَا يَكْفُرُ بِذَلِكَ وَلَا يَفْسُقُ بِاتِّفَاقِ الْأَئِمَّةِ؛ بَلْ إمَّا أَنْ يَكُونَ مُصِيبًا أَوْ مُخْطِئًا. وَمَأْخَذُ الْعُلَمَاءِ فِي (عَدَمِ جَوَازِ الِاسْتِئْجَارِ عَلَى هَذَا النَّفْعِ: أَنَّ هَذِهِ الْأَعْمَالَ يَخْتَصُّ أَنْ يَكُونَ فَاعِلُهَا مِنْ أَهْلِ الْقُرَبِ بِتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالْإِمَامَةِ وَالْأَذَانِ؛ لَا يَجُوزُ أَنْ يَفْعَلَهُ كَافِرٌ: وَلَا يَفْعَلُهُ إلَّا مُسْلِمٌ؛ بِخِلَافِ النَّفْعِ الَّذِي

يَفْعَلُهُ الْمُسْلِمُ وَالْكَافِرُ: كَالْبِنَاءِ وَالْخِيَاطَةِ وَالنَّسْجِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَإِذَا فُعِلَ الْعَمَلُ بِالْأُجْرَةِ لَمْ يَبْقَ عِبَادَةً لِلَّهِ فَإِنَّهُ يَبْقَى مُسْتَحَقًّا بِالْعِوَضِ مَعْمُولًا لِأَجْلِهِ. وَالْعَمَلُ إِذَا عُمِلَ لِلْعِوَضِ لَمْ يَبْقَ عِبَادَةً: كَالصِّنَاعَاتِ الَّتِي تُعْمَلُ بِالْأُجْرَةِ. فَمَنْ قَالَ: لَا يَجُوزُ الِاسْتِئْجَارُ عَلَى هَذِهِ الْأَعْمَالِ قَالَ: إنَّهُ لَا يَجُوزُ إيقَاعُهَا عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ. كَمَا لَا يَجُوزُ إيقَاعُ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْقِرَاءَةِ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَالِاسْتِئْجَارُ يُخْرِجُهَا عَنْ ذَلِكَ. وَمَنْ جَوَّزَ ذَلِكَ قَالَ: إنَّهُ نَفْعٌ يَصِلُ إلَى الْمُسْتَأْجِرِ فَجَازَ أَخْذُ الْأُجْرَةِ عَلَيْهِ: كَسَائِرِ الْمَنَافِعِ. قَالَ: وَإِذَا كَانَتْ لَا عِبَادَةَ فِي هَذِهِ الْحَالِ لَا تَقَعُ عَلَى وَجْهِ الْعِبَادَةِ فَيَجُوزُ إيقَاعُهَا عَلَى وَجْهِ الْعِبَادَةِ وَغَيْرِ وَجْهِ الْعِبَادَةِ؛ لِمَا فِيهَا مِن النَّفْعِ. وَمَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْمُحْتَاجِ وَغَيْرِهِ - وَهُوَ أَقْرَبُ - قَالَ: الْمُحْتَاجُ إذَا اكْتَسَبَ بِهَا أَمْكَنَهُ أَنْ يَنْوِيَ عَمَلَهَا لِلَّهِ وَيَأْخُذُ الْأُجْرَةَ لِيَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى الْعِبَادَةِ؛ فَإِنَّ الْكَسْبَ عَلَى الْعِيَالِ وَاجِبٌ أَيْضًا فَيُؤَدِّي الْوَاجِبَاتِ بِهَذَا؛ بِخِلَافِ الْغَنِيِّ لِأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إلَى الْكَسْبِ فَلَا حَاجَةَ تَدْعُوهُ أَنْ يَعْمَلَهَا لِغَيْرِ اللَّهِ؛ بَلْ إذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ أَغْنَاهُ وَهَذَا فُرِضَ عَلَى الْكِفَايَةِ: كَانَ هُوَ مُخَاطَبًا بِهِ وَإِذَا لَمْ يَقُمْ إلَّا بِهِ كَانَ ذَلِكَ وَاجِبًا عَلَيْهِ عَيْنًا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ).[1]

١ مجموع الفتاوى: ٧/٣٤٧.

وقال ابن كثير -رحمه الله-: (وأما تعليم العلم بأجرة، فإن كان قد تعين عليه فلا يجوز أن يأخذ عليه أجرة، ويجوز أن يتناول من بيت المال ما يقوم به حاله وعياله، فإن لم يحصل له منه شيء وقطعه التعليم عن التكسب، فهو كما لم يتعين عليه، وإذا لم يتعين عليه، فإنه يجوز أن يأخذ عليه أجرة عند مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء، كما في صحيح البخاري عن أبي سعيد في قصة اللديغ: «إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله». وقوله في قصة المخطوبة: «زوجتكها بما معك من القرآن». فأما حديث عبادة بن الصامت، أنه علم رجلا من أهل الصفة شيئًا من القرآن فأهدى له قوسًا، فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إن أحببت أن تطوق بقوس من نار فاقبله» فتركه، رواه أبو داود. وروي مثله عن أبي بن كعب مرفوعًا، فإن صح إسناده فهو محمول عند كثير من العلماء منهم: أبو عمر ابن عبد البر على أنه لما علمه الله لم يجز بعد هذا أن يعتاض عن ثواب الله بذلك القوس، فأما إذا كان من أول الأمر على التعليم بالأجرة فإنه يصح كما في حديث اللديغ وحديث سهل في المخطوبة، والله أعلم)[1].

١ تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ -٧٧٤ هـ]،،دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩: ١/ ٢٤٤.

وقال الشوكاني في النيل: منها أن حديث أبي [يعني (علمت رجلا القرآن فأهدى لي قوسا فذكرت ذلك للنبي صلى اللهّ عليه وآله وسلم فقال إن أخذتها أخذت قوسا من نار فرددتها)]قضية في عين فيحتمل أن النبي صلى اللهّ عليه وآله وسلم علم أنه فعل ذلك خالصا للّه فكره أخذ العوض عنه. وأما من علم القرآن على أنه للّهوأن يأخذ من المتعلم ما دفعه إليه بغير سؤال ولا استشراف نفسه فلا بأس به[1]. وقال عن حديث: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللهَّ بِهِ، فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يَقْرَءُونَ القُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ. «وأما حديث عمران بن حصين فليس فيه إلا تحريم السؤال بالقرآن وهو غير إتخاذ الأجر على تعليمه[2].

وقال الشنقيطي في الأضواء بعد أن بين أقوال العلماء المانعين والمجيزين: (الذي يظهر لي والله تعالى أعلم، أن الإنسان إذا لم تدعه الحاجة الضرورية فالأولى له ألا يأخذ عوضاً على تعليم القرآن، والعقائد، والحلال والحرام للأدلة الماضية. وإن دعته الحاجة أخذ بقدر الضرورة من بيت مال المسلمين. لأن الظاهر أن المأخوذ من بيت المال من قبيل الإعانة على القيام بالتعليم لا من قبيل الأجرة. والأولى لمن أغناه الله أن يتعفف عن

١ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار:٣٩/١٠. بتصرف يسير.

٢ المصدر نفسه.

أخذ شيء في مقابل التعليم للقرآن والعقائد والحلال والحرام. والعلم عند الله تعالى).[1]

وقالت اللجنة الدائمة للإفتاء: «يجوز لك أن تأخذ أجراً على تعليم القرآن؛ فإن النبي - صلى الله عليه وسلم- زوَّج رجلا امرأة بتعليمه إياها ما معه من القرآن، وكان ذلك صداقها، وأخذ الصحابي أجرة على شفاء مريض كافر بسبب رقيته إياه بفاتحة الكتاب، وقال في ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم-: (إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله) أخرجه البخاري ومسلم، وإنما المحظور: أخذ الأجرة على نفس تلاوة القرآن، وسؤال الناس بقراءته»[2].

وسئل ابن باز فقيل له: ما حكم أخذ الأجرة على تحفيظ القرآن الكريم؟ فقال:لا حرج في أخذ الأجرة على تعليم القرآن وتعليم العلم؛ لأن الناس في حاجة إلى التعليم، ولأن المعلم قد يشق عليه ذلك ويعطله التعليم عن الكسب، فإذا أخذ أجرة على تعليم القرآن وتحفيظه وتعليم العلم فالصحيح أنه لا حرج في ذلك، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جماعة من الصحابة نزلوا ببعض العرب فلدغ سيدهم: يعني رئيسهم وأنهم عالجوه بكل شيء ولم ينفعه ذلك وطلبوا منهم أن يرقوه فتقدم

١ أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي: ٢/٢٩١.

٢ الشيخ عبد العزيز بن باز، الشيخ عبد الرزاق عفيفي، الشيخ عبد الله بن غديان، الشيخ عبد الله بن قعود.“ فتاوى اللجنة الدائمة «: (١٥ / ٩٦).

أحد الصحابة فرقاه بفاتحة الكتاب فشفاه الله وعافاه، وكانوا قد اشترطوا عليهم قطيعاً من الغنم فأوفوا لهم بشرطهم، فتوقفوا عن قسمه بينهم حتى سألوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عليه الصلاة والسلام: ((أحسنتم واضربوا لي معكم بسهم)) رواه البخاري في صحيحه، ولم ينكر عليهم ذلك وقال: ((إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله)) رواه البخاري في الصحيح أيضا فهذا يدل على أنه لا بأس بأخذ الأجرة على التعليم كما جاز أخذها على الرقية.

وقال ابن عثيمين -رحمه الله- كما في فتاوى نور على الدرب :ليس في أخذ الأجر على تعليم القرآن شيء بل قال النبي عليه الصلاة والسلام (إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله) وكما أن الإنسان يشتري المصحف ليقرأ فيه بالدراهم كذلك لا حرج عليه أن يؤجر شخصاً يعلمه القرآن لكننا نقول الأولى بالشخص إذا أغناه الله عز وجل أن لا يأخذ على تعليم القرآن أجراً لأنه يكتسب من الأجر إذا علم القرآن بدون أجرٍ دنيوي يكتسب أجراً عظيماً لأن قارئ القرآن له في كل حرف عشر حسنات والمعلم الذي لم يدرك المتعلم القرآن إلا به لا شك أنه يؤجر بمثل أجر القارئ لأنه دل على خير والدال على الخير كفاعله ولهذا ننصح إخواننا الذي يعلمون الناس

كتاب الله عز وجل سواء في حلق المساجد أو كان في بيوتهم إذا كان الله قد أغناهم ننصحهم أن لا يأخذوا على تعليمهم أجراً من الدنيا ليتوفر لهم أجر الآخرة (والآخرة خيرٌ وأبقى) (ولأجر الآخرة خيرٌ للّذين آمنوا وكانوا يتّقون) فعلى هذا ننصح إخواننا بما ذكرنا ولكن لو أخذوا على هذا أجراً فلا بأس). وقال أيضا: (وأمَّا أخذ الأُجرة على إقراء القُرآن، أيْ: على تعليم القُرآن مختلفٌ فيه، والرَّاجح أنَّهُ جائزٌ، لأنَّ الإنسان يأخذه على تعبه وعمله، لا على قراءته القُرآن، وقد ثبتَ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام أنَّهُ قالَ: إنَّ أفضل ما أخذتم عليه أجرًا ـ أو قال: ـ أحقَّ ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله. وثبتَ عنهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّهُ قالَ للرَّجل الَّذي لم يجد مهرًا، قالَ:» زوجتكها بما معك مِنَ القُرآن« أي: يُعلِّمها ما معهُ مِنَ القُرآن.وأمَّا الأُجرة على تعليم القُرآن: فالصَّحيح أنَّها جائزة، ولا بأس بها.

وقال الألباني- رحمه الله – بعد أن فصل تفصيلا طويلا: (فالأجر كما تعلمون حقٌ مقابل عمل يقوم به الإنسان، هذا النوع من الأخذ المسمى لغة وشرعاً: أجراً، هو الذي يحرم شرعاً، ولكن إذا كان هناك نوع من المال يعطى لمن يقوم ببعض -لنقل الآن بالعرف الحاضر- الوظائف الدينية، من قبل الدولة، أو من قبل بعض الأثرياء

والأغنياء -وما أقلهم في هذا الزمان- الذين يشعرون بأن عليهم أن يمدوا يد العون والمساعدة لبعض الفقراء، بل والأقوياء الذين تفرغوا لخدمة الإسلام بعمل ما، خدمة للإسلام، فتعطي لهم الدولة، فلا يجوز، أولاً: للدولة أن تسمي هذا أجراً، ولا يجوز للآخذين لهذا الشيء أن يأخذوه أجراً، وإنما يأخذونه بمعنى آخر هو مثلاً: الهبة، أو الجعالة، أو العطاء، كما كانوا في السلف الأول، حينما كان الإسلام قوياً، وكان الجهاد في سبيل الله قائماً ومنشوراً، وكانت المغانم تملأ خزائن الدولة، حتى كانت الدولة توزع عطاءً على الناس حتى من لم يكن موظفاً منهم فيها. فهذا هو المخرج ممن كان إماماً، أو مؤذناً، أو خطيباً، أو مدرساً في مدارس، وكان علمه علماً شرعياً دينياً، فلا يجوز له أن يأخذ عليه أجراً، وعليه أن يأخذه بغير معنى الأجر، لما ذكرناه من الأدلة القاطعة، التي توجب على كل مسلم أن تكون عبادته خالصة لوجه الله تبارك وتعالى)[1].

فالخلاصة: جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن عند مالك والشافعي وأحمد في رواية وابن حزم ومتأخِّرِي الحنفية؛ لما بينا. والله أعلم.

---

١ دروس ومحاضرات مفرغة من تسجيلات الشبكة الإسلامية. http://www.d-alsonah./com

وآخذ أجر الحديث يقدح * جماعة وآخرون سمحوا

وآخرون جوزوا لمن شغل * عن كسبه فاختير هذا وقبل[1]

١٩. الحذر من كراهته قراءة أصحابه على غيره ممن ينتفع به .

قال النووي: (وهذه مصيبة يبتلى بها بعض المعلمين الجاهلين، وهي دلالة بينة من صاحبها على سوء نيته وفساد طويته، بل هي حجة قاطعة على عدم إرادته بتعليمه وجه الله تعالى، فإنه لو أراد الله تعالى بتعليمه لما كره ذلك، ولقال لنفسه: أنا أردت الطاعة بتعليمه، وقد حصلت وهو قصد بقراءته على غيري زيادة علم فلا عتب عليه)[2].

٢٠. تحصيل الواجب من النحو والصرف، واللغة والتفسير. وما يحتاجه في علم التجويد والضبط والرسم.فيعتني بمخارج الحروف وصفاتها،فيحفظ منظومة ابن الجزري ((المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه)). ويدرس شرحها. قال الإمام أبو الحسن الحصْري:

لقد يدعي علم القراءات معشر * وباعهم في النحو أقصر من شبر

١ منظومة مصباح الراوي للشيخ عبد الله بن فودي. ص١٦.
٢ التبيان في آداب حملة القرآن: ٢٨.

فإن قيل ما إعراب هذا ووجهه * رأيت طويل الباع يقصر عن فتر[1]

وقال الداني:

وكل من لا يعرف الإعرابا * فربَّما قد يترك الصوابا

وربما قد قوَّل الأيمَّهْ * ما لا يجوز وينال إثمه[2]

٢١. معرفة الوقف والابتداء، فلا يقف إلا على وقف أجازه العلماء، ولا يبتدئ إلا بما تظهر به الفائدة.

قال الداني –رحمه الله-:

ومن كمال الحذق والإتقان * معرفة الوقوف في القرآن

على التمام وعلى الكاف الحسن * وما سواهما قبيح فاعلمن[3]

فلا يجاز الطالب إلا بعد معرفة الوقف والابتداء.

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: (لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم- فَيَتَعَلَّمُ حَلاَلَهَا، وَحَرَامَهَا، وَآمِرَهَا، وَزَاجِرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا. كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمُ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالاً يُؤْتَى

---

١ القصيدة الحصرية، أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري، تحقيق: ساعد عبد الحكيم ساعد، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص٥.

٢ الأرجوزة المنبهة، ص١٧٠.

٣ المصدر نفسه، ص٢٦٨.

أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الإِيمَانِ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِى مَا آمِرُهُ وَلاَ زَاجِرُهُ وَلاَ مَا يَنْبَغِى أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ فَيَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ.)[1] الدقل. رديء التمر.

ومن الأوقف المتعسفة والمتكلفة ما يتعسفه بعض المعربين أو يتكلفه بعض القراء أو يتأوله بعض أهل الأهواء: (وارحمنا أنت)والابتداء (مولانا فانصرنا) على معنى النداء ونحو (ثم جاؤك يحلفون) ثم يبتدئ (بالله إن أردنا) ونحو (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك) ثم يبتدئ بالله إن الشرك على معنى القسم. فإن ذلك وما أشبهه تمحل وتحريف للكلم عن مواضعه يعرف أكثره بالسباق والسياق. كما قاتل ابن الجزري.

٢٢. حفظ كتاب مُشتمل على ما يُقرِئ به من القراءات أصولًا وفَرْشًا.

٢٣. ألا يقرِئ إلا بما سمع أو قرأ.

٢٤. الحذر من الإقراءَ بما يحسن في رأيه دون النقل، أو وجه إعراب أو لغة دون رواية.

٢٥. العمل بالقرآن الكريم، وسنة سيد المرسلين على

١ أخرجه الحاكم في مستدركه حديث رقم١٠١ وقال أنه صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وأخرجه البيهقي في سننه (١٢٠/٣)وقال العراقي: أخرجه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك من رواية قاسم بن عوف الشيباني قال سمعت ابن عمر يقول فساقه كسياق القوت وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه اهـ.

فهم السلف الصالحين من الصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم من العلماء الربانيين.

٢٦. التزام القراءة الصحيحة، واجتناب التنطع والتكلف واللحن والألحان المذمومة.

ومما يختص به الطالب:

١. ألا يقيم أحدا من مجلسه فإن آثره لم يقبل لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لا يقيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه».[1]

٢. لا يجلس بين صاحبين بغير إذنهما، وإذا جلس فليتوسع قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: « لا يُجلَسُ بين رجلين إلا بإذنهما»[2]

٣. الأدب مع رفقته وحاضري مجلس الشيخ.

٤. ألا يرفع صوته رفعا بليغا ولا يضحك ولا يكثر الكلام ولا يلتفت يمينا ولا شمالا.

٥. الجلوس جاثيا على ركبتيه.

٦. صون عينيه عن تفريق نظرهما، ويديه عن العبث،

١ أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب لا يقيم الرجل الرجل من محله، ٦٢٦٩.
٢ أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب: في الرجل يجلس بين رجلين بغير إذنهما، ٤٨٤٦. وصححه الألباني، صحيح وضعيف سنن أبي داود.

إلا لحاجة.

قال الداني -رحمه الله-:

فالتزم الإجلال والتوقيرا * لمن يريك العلم مستنيرا

وكن له مبجلا معظما * مرفعا لقدره مكرما

واخفض له الصوت ولا تضجره * وما جنى عليك فاغتفره

فحقه من أوكد الحقوق * وهجره من أعظم العقوق[1]

٧. اختيار المقرئ الحافظ، الضابط، السني، التقي، السلفي، كامل الأهلية. المجاز.

قال ابن مجاهد: (لا تغتروا بكل مقرئ؛ إذ الناس على طبقات، فمنهم من حفظ الآية والآيتين والسورة والسورتين، ولا علم له غير ذلك فلا تؤخذ عنه القراءة، ولا تنقل عنه الرواية ولا يقرأ عليه، ومنهم من حفظ الروايات، ولم يعلم معانيها ولا استنباطها من لغات العرب، ونحوها فلا تؤخذ عنه؛ لأنه ربما يصحف، ومنهم من يعلم العربية، ولا يتبع الأثر والمشايخ في القراءة فلا تنقل عنه الرواية؛ لأنه ربما حسنت له العربية حرفا ولم يقرأ به والرواية متبعة والقراءة سنة يأخذها الآخر

---

١ الأرجوزة المنبهة للداني، ص١٧٠.

عن الأول، ومنهم من فهم التلاوة وعلم الرواية، وأخذ حظّا من الدراية من النحو واللغة، فتؤخذ منه الرواية ويقصد للقراءة)[1].

وقال مكي بن أبي طالب: ((يجب على طالب القرآن أن يتخير لقراءته ونقله وضبطه أهل الديانة والصيانة، والفهم في علوم القرآن، والنفاذ في علم العربية، والتجويد بحكاية ألفاظ القرآن، وصحة النقل عن الأئمة المشهورين بالعلم))[2]

وقال الداني – رحمه الله-:

فإن رغبت العرض للحروف * والضبط للصحيح والمعروف

فاقصد شيوخ العلم والروايه * ومن سما بالفهم والدرايه

ممن روى وقيد الأخبارا * وانتقد الطرق والآثارا

وفهم اللغات والإعرابا * وعلم الخطأ والصوابا

وحفظ الخلاف والحروفا * وميز الواهي والمعروفا

وأدرك الجلي والخفيا * وما أتى عن ناقل مرويا

١ منجد المقرئين ومرشد الطالبين:ص١٠.

٢ الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمار - الأردن: ٨٩.

وشاهد الأكابِر الشيوخا * ودون الناسخ والمنسوخا

وجمع التفسير والأحكاما * ولازم الحذاق والأعلاما

وصحب النساك والأخيارا * وجانب الأرذال والأشرارا

واتبع السنة والجماعه * وقام لله بحسن الطاعه

فذلك العالم والإمام * شكرا بِه لله لا يقام

والعلم لا تأخذه عن صُحُفِيّ * ولا حروف الذكر عن كُتُبِيِّ

ولا عن المجهول والكذاب * ولا عن البدعي والمرتاب

وارفض شيوخ الجهل والغباوه * لا تأخذن عنهم التلاوه

لأنهم بِالجهل قد يأتونا * بغير ما يروى وما يروونا

وكل من لايعرف الإعرابا * فربما قد يترك الصوابا

وربما قد قول الأئمه * ما لا يجوز وينال إثمه

فدعه والزم يا أخي الصدوقا * ومن تراه يحتذي الطريقا

طريق من مضى من الأسلاف * أولي النهى والعلم بالخلاف[1]

وليحرص أن يقرأ على شيخ مجاز ليجيزه، قال عبد الله بن المبارك: ((الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من

١ الأرجوزة المنبهة للداني، ص٢٦٨.

شاء ما شاء)). فالشيخ المجاز، تعد شهادة له على أهليته وصلاحه للتدريس وتعليم القرآن الكريم. وليحذر الطالب من الإجازات المبهمة، التي لا يبين فيها نوع المقروء، ومقداره، وكيفيته، فهذا تدليس فاحش.

فينبغي للمجيز أن ينص على الرواية أو الروايات التي قرأها الطالب عليه، ومن أي كتاب، ومن أي طريق، وهل ختم ختمة كاملة أو لا؟.

الخاتمة في التمسك بالقرآن وسنة ولد عدنان والعمل بهما

إن الواجب على كل مسلم أن يستمسك بالقرآن والسنة الصحيحة ويعمل بهما على مقتضى سبيل المؤمنين وفهم السلف الصالح من الصحابة -رضي الله عنهم- والتابعين لهم بإحسان من القرون المفضلة، فيعبد الله -تبارك وتعالى- على بصيرة، على العلم النافع والعمل الصالح، قال تعالى: (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء). وقال -سبحانه-: (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحن الله وما أنا من المشركين) وقال سبحانه: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقال سبحانه: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون). وقال -تعالى-: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا). وقال سبحانه: (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا). والعمل الصالح ما كان موافقًا لشرع الله { وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان

ركنا العمل المتقبل. لا بد أن يكون خالصًا لله، صوابا على شريعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وعن الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ -رضي الله عنه-، قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ، فَاعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ، فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[١]

وكل خير في اتباع من سلف * وكل شر في ابتداع من خلف

والحمد لله رب العالمين.

١ أخرجه ابن ماجه. باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ٤٢. وصححه الألباني.

الفهرس